مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السابع عشر، العدد الأول، ص315 - ص359 يناير 2009
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

عـــــلاج مشكـــلة الفقــــــــر

(دراســـة قرآنيـــة موضوعيـــة)

د. عبد السلام حمدان اللوح و **د. محمود هاشم عنبر**
الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة

ملخص: يمثل هذا البحث دراسة موضوعية لعلاج قرآني لمشكلة واقعية ألا وهي مشكلة الفقر التي يعاني منها العالم قديماً وحديثاً ، لنرى من خلال هذه الدراسة كيف كان العلاج القرآنـــي متميـــزاً: بدقته وعمقه وشموله وعدالته؛ ليُظهر لنا إعجازاً قرآنياً تشريعياً يعجز عن مثله كافة الخلق: عربهم وأعجميهم ، قديماً وحديثاً ومستقبلاً ؛ مما يؤكد أن القرآن كلام الله وأن محمداً هو نبي الله ورسوله إلى خلقه ، ويظهر من خلال ذلك أن القرآن امتاز عن غيره من الكتب السماوية السابقة في علاجه لهذه المشكلة ، وأن هذا القرآن مصدر رئيس ومرجع أساس في حل ما يواجه العالم من مشكلات.

The Solution for Poverty
(An Objective Quranic Study)

Abdulasalam H. Al-loh **Mahmoud H. Anbar**
Professor of Quranic Science Assistant Professor of Quranic Science

Abstract: This study deals with the Quranic solution to a persistent problem common in all societies and throughout the ages. The study shows the uniqueness, accuracy , depth, comprehensiveness and Justice of the Quranic solution. These features illustrate the miraculous and the inimitable nature of Quranic solution. These features also emphasize the fact that the Holy Quran is the true word of Allah and that Mohammed (PBUH) is his Prophet and messenger. Additionally , these features prove that the Holy Quran is a basic source for solving all kinds of contemporary problems the world faces.

Key Words: (Quran, Poverty, Solutions)**.**

مقدمة :

الحمد لله الذي جعل للفقر علاجاً في كتابه ، يستأصل به الفقر أحياناً ، ويخفف من حدته أو آلامه وآثاره أحياناً أخرى ، وقد يكون الفقر ذاته علاجاً لنفوس لا يصلحها إلا الفقـــر ، إنهـــا الحكمة الإلهية في كل شيء.

والصلاة والسلام على القدوة والأسوة في علاجه وتعايشه مع الفقر وعلى آله وصـــحبه والسائرين على نهجه إلى يوم الدين وبعد:

فإن كتاب الله فيه العلاج لكل ما جدَّ وما يجدُّ من مشكلات وقضايا تطرأ في واقع الأمة والفقر واحد من تلك المشكلات القديمة الحديثة ، التي عالجها القرآن الكريم علاجاً ربانياً متميـــزاً عن كل نتاج بشري في هذا الميدان ، علاجاً فيه من الدقة والعمق والشمول والعدالة مـــا يظهـــر

إعجازاً قرآنياً تشريعياً يفوق ما نصت عليه الكتب السماوية السابقة ، علاجاً معجزاً يعجــز عــن مثله كافة الخلق عربهم وعجمهم: قديماً وحديثاً ومستقبلاً.

وقد حرص الباحثان أن يبرزا علاج القرآن لمشكلة الفقر بوسائله المتنوعة ،سواء أكــان بالسعي والأخذ بأسباب الرزق ، أم بالتكافل الاجتماعي ، أم من خلال الحقوق المفروضــة فــي الأموال ، أم من خلال الحقوق التطوعية، ليكون ذلك أنموذجاً ومثالاً يُتأسى به في حل كــلِّ مــا يواجه العالم من مشكلات.

وتحقيقــاً لهــذه الغايــة؛ فقــد كانت هذه الدراسة متمثلة في مقدمة ، فثلاثة مباحــث ، ثم خاتمة ، وهي كما يلي:-

المبحث الأول : نظرات حول مشكلة الفقر .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الفقر وحدوده .

أولاً : تعريف الفقر لغة.

ثانياً : تعريف الفقر في الاصطلاح وحدوده.

المطلب الثاني : آيات الفقر ومرادفاته في القرآن الكريم .

أولاً : آيات الفقر في القرآن الكريم.

ثانياً : مرادفات الفقر في القرآن الكريم.

المبحث الثاني : الوسائل القرآنية في علاج مشكلة الفقر،

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : السعي والأخذ بأسباب الرزق .

المطلب الثاني : التكافل الاجتماعي .

المطلب الثالث : الحقوق المفروضة في الأموال .

المطلب الرابع : الحقوق التطوعية في الأموال .

المبحث الثالث : علاج مشكلة الفقر في ضوء الكتب السماوية والواقع،

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : علاج مشكلة الفقر في ضوء نصوص (التوراة).

المطلب الثاني : علاج مشكلة الفقر في ضوء نصوص (الإنجيل).

المطلب الثالث : علاج مشكلة الفقر بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة

المطلب الرابع : علاج مشكلة الفقر بين الإعجاز القرآني والعجز البشري.

المبحث الأول

نظرات حول مشكلة الفقر

المطلب الأول : تعريف الفقر وحدوده .

أولاً: تعريف الفقر لغة :

الفقر في اللغة ضد الغنى، والفقير على وزن (فعيل) بمعنى: فاعل، وتجمع على فقراء، يقال "فَقِرَ يَفْقَرُ" إذا قلَّ ماله، ويقال في المؤنث فقيرة وجمعها فقراء فتقول: سفيهة وسفهاء، وكقولنا المرأة فقيهة ونسوة فقهاء، وقيل إن مؤنثها يجمع على (فقائر) فتقول: امرأة فقيرة ونسوة فَقَائِر، والمَفَاقِر هي وجوه الفقر ولا واحد لها، فتقول: "أغنى الله مفاقِرَه أي وجوه فقره، وسدّ الله مفاقره، أي: أغناه وسدّ وجوه فقرة.

والفقير معناه: المفقور، وهو الذي نزعت فِقَرُه من ظهره فانقطع صلبه من شدَّة الفقر.

وقد ورد الفقر بمعنى الإعارة فتقول: "أَفْقَرْتُ فلاناً ناقتي" أي أعرتُهُ فَقَارَها.

وورد أيضاً بمعنى الحزّ وهو حزُّ أنف البعير بحديدَةٍ حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه[1].

هذه خلاصة لأهم المعاني التي ورد فيها الفقر في اللغة، ولكن المعنى الأول الذي هو قلة المال وشحته هو المعنى المشهور من بين تلك المعاني اللغوية بحيث إذا أطلق لفظُ الفقر فُهِمَ منه أنه ضد الغنى، ولا يدل على غيره إلا بقرينة تشير إليه.

ثانياً: تعريف الفقر في الاصطلاح وحدوده :

لا شك أنَّ تعريف الفقر شرعاً عند علماء المسلمين يتوقف على آرائهم في موضوع الصدقات وتوزيعها على مستحقيها فالفقر أول صفة يستوجب المتصف بها الأخذ من الصدقات بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَليها وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

وقد اختلف العلماء في معنى الفقر وحدِّه الذي يجيز الأخذ من الصدقةِ وحدِّ الغِنى الذي لا يجوز معه الأخذ منها على عدة أقوال:

القول الأول : ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن الفقر هو عدم ملك نصاب الزكاة لأنّ النبي ﷺ قد

---

(1) مراجعي في هذه الخلاصة اللغوية: لسان العرب – ج 5 ص 3444 - 3446، والقاموس المحيط ج 2 ص111، والمصباح المنير ج 2 ص 134.

(2) سورة التوبة: الآية "60".

سمَّى من ملك النصاب غنياً وذلك في قوله لمعاذ بن جبل: ". فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإيـــاك وكرائم أموالهم. . ."(1).

ووجه استدلالهم بهذا الحديث أنّ رسول الله ﷺ وصف الذين تؤخذ منهم الزكاة بالغني ومن تـــدفع إليهم الزكاة بالفقر، ومن المعلوم أن الزكاة لا تجب إلا على من ملك النصاب فإذا كان الأغنيـــاء هم أهل النصاب وجب أن يكون الفقراء ضدهم(2).

وبهذا يكون الفقر في الشرع عدم ملك النصاب والغني هو ملكه، والنصاب كما هو معلـــوم فـــي الشرع القدر الذي إذا بلغه المال وجبت فيه الزكاة، والنصاب عند أبي حنيفة (عشرون) ديناراً أو (مائتا) درهم حيث قال القرطبي_ رحمه الله_ " وقال أبو حنيفة: من معه عشرون ديناراً أو مائتا درهم فلا يأخذ من الزكاة"(3).

القول الثاني : حيـــث حـــدَّدَّ أصحاب القول الثاني القدر الذي يوصف معه الغنيُّ بالغني والفقيـــر بالفقر.

1- فالإمام أخمد والثوري وابن المبارك قالوا بأنَّ حدَّ الفقر شرعاً ألا يكون للـــشخص خمـــسون درهما أو قيمتها من الذهب، وحدَّ الغني أن يكون للمرء خمسون درهماً أو قيمتها مـــن الـــذهب، واستدل أصحاب هذا القول بما رواه الدار قطني **عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قـــال: "لا تحل الصدقةُ لرجل له خمسون درهماً"**(4).

2- وذهب الحسن البصري إلى أنَّ حدَّ الفقر شرعاً ألا يملك الإنسان لأربعين درهما أو قيمتها من الذهب.

واستدلَّ الحسن البصري بما رواه عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقـــول: "مـــن سأل الناس وهو غني جاء يوم القيامة وفي وجهه كدوح وخدوش فقيل يـــا رســـول الله ومـــا

---

(1) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا – ج 3 ص 357 حديث رقم 1496.

(2) بداية المجتهد ونهاية المقتصد – للإمام ابن رشد القرطبي – ح1 ص276 " بتصرف".

(3) الجامع لأحكام القرآن – ج 8 ص 160.

(4) سنن الدار قطني– كتاب الزكاة – باب الغني الذي يحرم السؤال – ج 2 ص121. وهـــذا الحـــديث ضعفه الألباني.

غناؤه؟ قال: أربعون درهماً أو قيمتها ذهباً"[1].

3- وقال قوم إنَّ حدَّ الفقر شرعاً ألا يملك المرء عشاء ليلة، وحدَّ الغنى عكسه وقد روي هذا القول عن على كرم الله وجهه"[2].

وقد احتجَّ أصحاب هذا القول بحديث عليّ عن النبي ﷺ أنه قال: "من سأل مسألة عن ظهر غني استكثر بها من رضف[3] **جهنم قالوا يا رسول الله وما ظهر الغني؟ قال: "عشاء ليلة"**[4].

القول الثالث : ذهب مالك والشافعي رحمهما الله إلى أنَّ حدَّ الفقر شرعاً هو ألا يملك الإنسان ما يكفيه من المال وحدَّ الغني عكس ذلك، لكن أصحاب هذا الرأي قد اختلفوا في تحديد وبيان الضابط لما يكفي الإنسان من المال.

1- فقال الإمام الشافعي هو أقل ما يمكن أن يطلق عليه اسم أنه يكفي.

2- وقال (مالك) بأنه ليس في ذلك حدٌّ معين وإنما هو راجع إلى الاجتهاد[5].

والإمام الشافعي_ رحمه الله_ قد رأي أنه من كان قوياً على الكسب والتحرف مع قوة البدن وحسن التصرف حتى يغنيه ذلك عن الناس فالصدقة عليه حرام[6]. واحتج بحديث البني ﷺ:

"لا تحلُّ الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة[7] **سويّ"**[8].

وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال أخبرني رجلان أنهما أتيا النبيَّ ﷺ في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها فرفع فينا البصر وخفضه فرآنا جلدين فقال:

---

(1) سنن الترمذي – كتاب الزكاة – باب ما جاء من تحل له الزكاة – ج 3 ص 32 حديث رقم 650، وقال الترمذي حديث ضعيف.

(2) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 8 ص "161".

(3) الرضَفْ: الحجارة التي حَمِيَتْ بالشمس أو النار، واحدتها رَضْفَة، لسان العرب لابن منظور ج 2 ص1661.

(4) سنن ابن ماجه – كتاب الزكاة – باب من سأل عن ظهر غنى ج 2 ص 37 حديث رقم 1838، وقال د. بشار عواد حديث ضعيف.

(5) انظر " بداية المجتهد ونهاية المقتصد – لابن رشد القرطبي – ج1 ص 276.

(6) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 8 ص161.

(7) المِرَّة بالكسر القوة والشدة، والسويّ: الصحيح الأعضاء " النهاية لابن الأثير ج 4 ص316.

(8) رواه الترمذي في كتاب الزكاة – باب ما جاء من لا تحل له الصدقة – ج 3 ص 42 وقال عنه حديث حسن

"**إن شئتما أعطيتكما ولا حظَّ فيها لغني ولا لقويٍ مكتسب**"[1].

"حيث رأي النبي ﷺ أن كل واحد منهما غني بقدرته على الكسب كغني غيره بما له مبيناً لهما ﷺ أنه لاحظ لهما في الصدقة ولو أعطاهما منها فهما ليسا أهلاً لها ولا من مستحقيها"[2].

وهكذا فقد استدلَّ كل فريق بما توفر بين يديه من أدلة شرعية، وإنني أرى أن أرجح الأقوال في هذه المسألة هو رأي الإمام الشافعي رحمه الله وهو أن حدَّ الفقر عدم ملك الإنسان لما يكفيه من مال مع تقييد هذا الحدِّ أيضاً بعدم القدرة على الكسب والعمل ليخرج بذلك المسكين الذي يأتيه مال لا يكفيه مع كونه يعمل ويكسب، **وسبب هذا الترجيح ما يلي**:

1- إنّ كلام الإمام الشافعي أقرب الأقوال إلى العقل وهو أنسب ما يمكن أن يطلق على الفقر في الاصطلاح

2- إنّ أبا حنيفة رحمه الله وإن كان قد استدل واحتج لرأيه بحديث صحيح إلا أن تحديده لمفهوم الفقر اصطلاحاً لم يكن دقيقاً حيث جعل الفقر عدم ملك النصاب وهذا الحدُّ قد لا يفصل ولا يميز بين الفقير والمسكين، كما أنه يمكن ألا يملك الشخص نصاب الزكاة ولكنه في الوقت نفسه قادر على الكسب، أو أن يكون عدم تملكه للنصاب نتيجة لظرف طارئ كبناء بيت أو شراء عقار أو اقتناء سيارة أو غير ذلك، فعدم تملك الشخص لنصاب الزكاة لا يعني أنه فقير يستحق الصدقة.

3- أما أصحاب القول الثاني الذين حدَّدوا حدَّ الفقر (بخمسين) درهما أو (أربعين) أو عشاء ليلة فقد استندوا إلى أحاديث غير صحيحة إذ إن بعضها ضعيف وبعضها الأخر في السند رجال متروكون.

وعلى هذا فيمكن القول إنَّ الفقر في الاصطلاح هو: "عدم ملك الإنسان لما يكفيه من مال مع عدم القدرة على الكسب والعمل".

المطلب الثاني: آيات الفقر ومرادفاته في القرآن الكريم:

أولاً: آيات الفقر في القرآن الكريم .

وردت كلمة الفقر ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً موزعة على

---

(1) سنن أبي داوود – كتاب الزكاة – باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى – ج 2 ص 118 حديث رقم 1633، وقد قال محققوا سنن أبي داود وهم: د. السيد محمد سيد، د. عبدالقادر عبدالخير، والأستاذ سيد إبراهيم: "حديث صحيح".

(2) بداية المجتهد ونهاية المقتصد – لابن رشد القرطبي – ج 1 ص 277.

عشر سور بعضها مكي والآخر مدني، وهذه الآيات بعضها حث على البر والإحسان للفقراء، وتبين أنهم أولى الناس بالصدقات، وبعضها الآخر حذر من سلوك طريق الشيطان واتباعه حيث يَعِدُ أتباعه بالفقر ويأمرهم بالفحشاء، وبعضها حثت أولياء الأمور على تزويج أبنائهم وبناتهم من الأحرار الأتقياء على ألا يكون الفقر مانعاً من موانع الزواج، وبعض هذه الآيات حثت العاجزين عن نفقات الزواج بالتأني والعفَّة حتى يغنيهم الله من فضله، وبعضها نفرت من الفقر مبينة أنّ نبيَّ الله موسى عليه السلام قد شكى إلى الله منه، كما ذمتُ بعض الآيات أولئك الذين وصفوا الله بالفقر لأنها صفة لا تليق بجلالة وعظمته فالله الغني ونحن الفقراء، وقد مدحت بعض هذه الآيات فقراء المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله ونصرة دينه.

هذا وتنقسم الآيات التي اشتملت على كلمة الفقر ومشتقاتها إلى قسمين:

أولاً- الآيات المكية وهي:

1- قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ . . .**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ (1).

2- وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ "(2).

ثانياً- الآيات المدنية وهي:

1- قولة تعالى: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ...** ﴾ (3).

2- ﴿ **إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...** ﴾ (4).

3- ﴿ ... **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا...** ﴾ (5).

4- ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا...** ﴾ (6).

5- ﴿ ... **وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ...** ﴾ (7).

---

(1) سورة القصص: الآية "24".

(2) سورة فاطر: الآية "15".

(3) سورة البقرة: الآية "268".

(4) سورة البقرة: الآية "271".

(5) سورة البقرة: الآية "273".

(6) سورة آل عمران: الآية "181".

(7) سورة النساء: الآية "6".

6- ﴿ ... إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا... ﴾ [1].

7- ﴿ إِنَّمَا الصدقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ... ﴾ [2].

8- ﴿ ... فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ [3].

9- ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [4].

10- ﴿ ... وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ... ﴾ [5].

11- ﴿ لِلفقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا..... ﴾ [6].

ومن هذا الاستعراض لآيات الفقر في العهد الملكي والمدني يتبين لنا أن حال المسلمين في المدينة كان أشد فقراً لأن المهاجرين قد تركوا أموالهم وأرضهم وكل ما يملكون في سبيل اللحاق بأرض الإسلام فالتضحية لهذا الدين كانت عظيمة ولذلك كانت ظاهرة الفقر في العهد المدني أشد بروزاً لذلك نالت من الآيات أضعاف ما كان في العهد الملكي.

ثانياً: مرادفات الفقر في القرآن الكريم :

ورد الفقر في القرآن الكريم بألفاظ أخرى مرادفه له، وحملت في طياتها معنى الفقر ومن هذه الألفاظ التي اشتملت معنى الفقر **ما يلي:**

1- ورد الفقر بلفظ (الإملاق) وذلك في سورتين من سور القرآن الكريم إحداهما مدنية والأخرى مكية فالمدينة قوله تعالى:﴿ . . .وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾[7].

فقوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ ﴾ أي من خوف الفقر[8].

(1) سورة النساء: الآية "135".

(2) سورة التوبة: الآية "60".

(3) سورة الحج: الآية "28".

(4) سورة النور: الآية: "32".

(5) سورة محمد: الآية "38".

(6) سورة الحشر: الآية "8".

(7) سورة الأنعام: الآية "151".

(8) التفسير الكبير للفخر الرازي – ج 3 ص 245.

وقال الزمخشري في قوله تعالي: ﴿ **مِنْ إِمْلاَقٍ** ﴾ : "من أجل فقر ومن خشيته"[1].
وأمَّا الآية المكية التي ورد الفقر فيها بلفظ الإملاق قولة تعالي: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا** ﴾ [2].
فالإملاق هنا أيضاً بمعنى الفقر كما قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ **خَشْيَةَ إِمْـــلاَقٍ** ﴾ : "أي خوف أن تفتقروا" [3].

2- وعبَّر القرآن الكريم عن الفقير بالبائس وجعل الفقر صفةً من صفاته وذلك في قوله تعـــالي: ﴿... **فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِير** ﴾ [4].

"فالفقير" من صفة البائس وهو الذي ناله البؤس وشدة الفقر يقال بئس يبأس بأساً إذا افتقـــر فهـــو بائس[5].

وقال ابن كثير رحمه الله في معنى "البائس الفقير": "قال عكرمة هو المضطر الذي يظهـــر عليـــه البؤس وهو الفقير المتعفف، وقال مجاهد: "هو الذي لا يبسط يده"[6].

وقال الطبرسي في معنى البائس "البائس الذي ظهر عليه أثر البؤس من الجوع والعـــرى، وقيـــل البائس الذي يمـــدُّ يده بالسؤال ويتكفف للطلب، أمر سبحانه أن يعطى أُولئك من الهدي"[7].

3- وورد الفقير في القرآن الكريم بلفظ القانع والمعتر وذلك في قولة تعالي: ﴿ **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَـــا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [8].

وقد اختلفت الأقوال في معنى (القانع والمعتر) فقيل القانع هو السائل، والمعتر هو المعترض بغير سؤال، أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعاً وقناعـــة والمعتـــر المعترض بسؤال[9].

---

(1) الكشاف – ج 2 ص 76.
(2) سورة الإسراء: الآية "31".
(3) تفسير القرآن العظيم – ج3 – ص38.
(4) سورة الحج: الآية "28".
(5) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج 12 ص 54.
(6) تفسير القرآن العظيم – ح 3 ص217.
(7) مجمع البيان في تفسير القرآن – للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ح 4 ص 100.
(8) سورة الحج: الآية "36".
(9) انظر "تفسير الكشاف" – للزمخشري ج 3 ص155.

وذكر ابن كثير قولاً لابن عباس وهو أنّ القانع المستغني بما أعطيته وهو في بيته والمعتر الــذي يتعرض للناس في الصدقات يمدُّ يده لهم في الطرقات من غير أن يسألهم.

وذكر قولاً آخر لعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس القانع المتعفف والمعتر السائل وقيل القانع هو الذي يقنع إليك ويسألك، والمعتر هو الذي يعترضك يتضرع ولا يسألك[1].

وقد ذكر القرطبي أقوالاً مختلفة أيضاً في معنى (القانع والمعتر) خلاصتها أن من العرب من ذكر القُنوع بمعنى القناعة وهي الرضا والتعفف وترك المسألة يقال: قنع الرجل إذا رضي وأمّا المعتر فهو الذي يطوف بين الناس يطلب ما عندهم سائلاً كان أو ساكتاً[2].

فمن خلال هذه الأقوال المختلفة أخرج بخلاصة **وهي**:

أن الله تعالى قد عبَّر بقوله "القانع والمعتر" عن صنفين من أصناف الفقــراء اللــذين يــستحقون الصدقة والإطعام **وهما**:

أ- **القانع**: وهو الفقير الذي يتعفف عن سؤال الناس ويرضى ويقنع بما قسمه الله له فيلزم بيته ولا يدفعه فقره إلى الخروج للصدقات وطرق أبواب الناس حياءً وعفةً.

ب- **أما المعتر**: فهو الفقير الذي يخرج إلى الطرقات ويطوف بالبيوت يعترض الناس ويمدُّ يــده لهم سواء أسألهم بلسانه أم اكتفى بمدِّ يده إليهم.

4- وقد عبَّر الله سبحانه عن الفقير بالمسكين وذلك في قولة تعالي: ﴿ **فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَــةَ ، وَمَــا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَــةُ. فَــكُّ رَقَبَةٍ. أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَــةٍ. أَوْ مِــسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾ [3].

فالمسكين ذو المتربة هو الفقير الذي لا يملك شيئاً وكأنه لصق بالتراب لفقره إذ ليس له مأوى إلا التراب، يقال ترب الرجل يترب ترباً ومتربة إذا افتقر حتى لصق بالتراب[4].

وقال الفخر الرازي في تفسيره لقولة تعالى: ﴿ **أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾ : "أي مسكيناً قــد لــصق بالتراب من فقرة وضره، فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه. روي أن ابــن عبــاس مــرَّ بمسكين لاصق بالتراب فقال: "هذا الذي قال الله تعالي فيه أو مسكيناً ذا متربة".

واحتج الشافعي بهذه الآية على أنَّ المسكين قد يكون بحيث يملك شيئاً، لأنه لو كان لفظ المسكين

---

(1) تفسير القرآن العظيم – ج 3 ص 222، 223 "بتصرف".

(2) انظر "الجامع لأحكام القرآن" - ج 12 ص 70.

(3) سورة البلد الآيات: "11-16".

(4) انظر "فتح القدير" – للشوكاني ج 4 ص 445.

دليلاً على أنه لا يملك شيئاً البتة لكان تقييده بقوله: ﴿ **ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾ "تكراراً وهو غير جائز"[1].

وقال سعيد حوى في تفسير قوله تعالي: ﴿ **أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾ "أي ذا افتقار فهو من فقره لصق في التراب فأصبح التراب مأواه"[2].

وبهذا يتبين لنا أن الله سبحانه قد عبّر عن الفقر بألفاظ أخرى مرادفة له في المعنى وذلك في مواضع في كتابة عز وجل.

المبحث الثاني

الوسائل القرآنية لعلاج مشكلة الفقر

المطلب الأول : السعي والأخذ بأسباب الرزق .

لقد تعبدنا الله بالسعي وبذل الجهد لتحصيل ما أراده الله وقدره من رزق ؛ لأن حقيقة الرزق بإرادة الله وقدره، وليس بالسعي وبذل الجهد ، فالرازق هو الله ، وما السعي إلا سبب من أسبابه ، ونحن مكلفون أن نأخذ بالأسباب ؛ ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ** ﴾ [3] ، وفي الحض على العمل قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ...** ﴾ [4] .

ذكر ابن كثير عن مجاهد قوله : "هذا وعيد يعني من الله للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول ﷺ وعلى المؤمنين ، وهذا كائن لا محالة يوم القيامة" [5] .

ومما يؤكد ضرورة السعي والكسب والانتشار في الأرض لتحصيل لقمة العيش من الكد والعمل قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [6] ، وقد كان بعض الصحابة إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين [7] ، وقد روى البخاري عن النبي ﷺ أنه قال : "لأن يحتطب

---

(1) التفسير الكبير "مفاتيح الغيب" – ج 3 ص187.

(2) الأساس في التفسير – سعيد حوى – ج 11 – ص 6531.

(3) سورة الذاريات : الآيات "22 – 23" .

(4) سورة التوبة : الآية "105" .

(5) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج2 ، ص 386 .

(6) سورة الجمعة : الآية "10" .

(7) انظر : الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج18 ، ص 105 .

أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه" [1].

فهذا الحديث يوضح شرف العمل وقيمته مهما كان نوعه ، فالاحتطاب على ما فيه من تعب ومشقة وربح يسير خير من الكسل والعقود عن العمل وسؤال الناس .

وكان عمر رضي الله عنه يحث على العمل ويدعو إلى تعلم المهن حيث كان يقول : "تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنته" [2] .

كما أن النكاح سبب من أسباب الرزق والغنى ووسيلة من وسائل علاج الفقر ، قال تعالى : ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [3] .

وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : "أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى" ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : "التمسوا الغنى في النكاح"، وهو ترغيب لأولياء الأمور بعدم اعتبار الفقر حجر عثرة في طريق تزويج بناتهم ، فقد وعد الله بإغنائهم بعد الزواج ، فهو اسع الفضل وبيده خزائن السماوات والأرض [4] .

قال الشوكاني : "والمعنى لا تمنعوا من تزويج الأحرار بسبب فقر الرجل والمرأة أو أحدهما ، فإنهم إن يكونوا فقراء يغنهم الله سبحانه وتعالى من فضله ، قال الزجاج : حث الله على النكاح ، وأعلم أنه سبب لنفي الفقر ، ولا يلزم أن يكون هذا حاصلاً لكل فقير إذا تزوج فإن ذلك مقيد بالمشيئة" [5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : "ثلاثة كلهم حق على الله عونه : المجاهد في سبيل الله ، والناكح يريد العفة ، والمكاتب يريد الأداء" [6].

وفي العهد المكي طمأن الله سبحانه أولياء الأمور بعدم الخوف من الفقر ، وعدم قتل أبنائهم خشية الفقر المتوقع في المستقبل ، مبيناً أن رزق الأبناء وآبائهم عليه وحده ، وفي ذلك

---

(1) صحيح البخاري – كتاب البيوع – باب كسب الرجل وعمله بيده ، ج3 ، ص 12 ، حديث رقم (2074).

(2) سيرة عمر – لابن الجوزي – ص 167.

(3) سورة النور : الآية "32" .

(4) انظر : تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج3 ، ص 286 ، 287.

(5) فتح القدير ، ج4 ، ص 28.

(6) سنن ابن ماجة – كتاب العتق – باب المكاتب ، ج2 ، ص 841 ، 842 ، حديث رقم (2518) ، وقال الدكتور بشار عواد : إسناده حسن.

يقول سبحانه : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ** ... ﴾ [1] ، وأما في العهد المدني فقد طمأن القرآن الكريم الفقراء الذين وقعوا في الفقر أن رزقهم ورزق أبنائهم عليه وحده، وأنه رازق أبنائهم ، وقد قدَّم رزق الآباء على رزق أبنائهم حيث يقول سبحانه : ﴿ ... **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** ... ﴾ [2].

قال الخازن : "يعني لا تئدوا بناتكم خوف العيلة والفقر ، فإني رازقكم وإياهم ؛ لأن الله تعالى إذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في أمر الرزق على الله عز وجل" [3].

وبهذا ندرك أن الزواج والإنجاب اللذين ينظر إليهما البعض على أنهما يزيدان الفقير فقراً ، هما في الحقيقة بابان من أبواب الرزق وسببان من أسباب فضل الله تعالى وكرمه ، فحري بأولياء الأمور طرق هذه الأبواب لعلاج ما هم فيه وذريتهم من فقر وحاجة.

المطلب الثاني: التكافل الاجتماعي:

أولاً: مفهوم التكافل الاجتماعي:

التكافل بمعنى التساند والتضامن ، والاجتماع بمعنى الالتقاء ، ويقوم التكافل الاجتماعي بين مجموعة من الناس تكوِّن مجتمعاً ، وهي جزء من أمة ، أو هي الأمة كلها تعيش على أرض ويجمعها قانون ، وتشملها عادات فيقوم حينئذٍ تضامن وتعاون يجعل حياة أبنائها أكثر سعادة وتآلفاً وتسانداً [4].

وقد أشار القرآن الكريم إلى وحدة الأمة وتلاحم أبنائها ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [5].

وقد أشار النبي ﷺ إلى تكافل الأمة فيقول : "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" [6].

وقد تحدث الأستاذ البهي الخولي عن مفهوم التكافل الاجتماعي فقال : "التكافل

(1) سورة الإسراء : الآية "31".

(2) سورة الأنعام : الآية "151".

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج2 ، ص 171.

(4) انظر : المجتمع المتكافل في الإسلام – الدكتور عبد العزيز الخياط – ص 61.

(5) سورة الأنبياء : الآية "92" .

(6) صحيح البخاري – كتاب الصلاة – باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ، ج1 ، ص 140 ، حديث رقم (481).

الاجتماعـــي كفالـــة متبادلة بين أفراد المجتمع للتعاون في المنشط والمكره على تحقيق منفعة أو دفع مضرة ، ولا يكون لفريق في ذلك التكافل فضل على فريق آخر ؛ حيث العبء فيـــه مـــوزع على كافة الأفراد ، والفائدة منه عائدة على الجميع ، تلك صورة لا تتحقق إلا برابطة مثالية فـــي مجتمع فاضل أدرك غاية الحياة ، فبرئ من أنانية الهوى ، وتواصى بمُثُل الحق وكرامة الغاية ، فمضى إلى أهدافه وثيق البناء متعاطف الأطراف" [(1)] .

وقد أشار القرآن إلى ذلك التكامل من خلال الأمر الصريح بالتعاون بين أفراد المجتمع على كـــل ما هـــو بـــرٌ وتقـــوى ، وتـــرك التعاون على كـــل مـــا هـــو إثـــم وعـــدوان ، قـــال تعـــالى: ﴿ ... **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [(2)].

وبهذا يظهر لنا المعنى الحقيقي للتكافل الاجتماعي في التشريع القرآني ، الذي شمل كـــل منـــاحي الحياة الإنسانية ، فالناس في مجتمعاتهم بحاجة إلى أن يتعاون بعضهم مع بعض في كـــل شـــئون الحياة ، فإذا توفرت هذه المعاني في المجتمع المسلم ، وتجسدت بصورة عمليـــة نعِـــمَ النـــاس ؛ فعاشوا في رغد من العيش ؛ لأن التكافل من أعظم وسائل علاج مشكلة الفقر .

ثانياً: التكافل الاجتماعي في القرآن الكريم:

لقد توافرت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى لتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع الإسلامي ، من هذه الآيات ما يلي :

1- قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ... ﴾ [(3)] ، والأخوة تتطلب أن يحرص الأخ على إطعام أخيه الجائع، وإسقاء أخيه العطشان ، وكساء أخيه العريان ، بل يحـــرص أيـــضاً علـــى حياتـــه وكرامته ومكانته الاجتماعية ، يواسيه في الضراء ، ويشاركه فرحته في السراء ، فهذه هي حقيقة التكافل الاجتماعي الذي حث عليه الإسلام[(4)] .

2- قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَـــةً مِمّـــا أُوتـــوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ... ﴾ [(5)] ، امتدح الله الأنصار مبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم ، وعدم حسدهم ، وإيثارهم مع الحاجة ، حيث كانوا يـــؤثرون

---

(1) انظر : الثروة في ظل الإسلام – البهي الخولي – ص 236.

(2) سورة المائدة : الآية "2".

(3) سورة الحجرات : الآية "10".

(4) انظر : اشتراكية الإسلام – الدكتور مصطفى السباعي – ص 172.

(5) سورة الحشر : الآية "9".

إخوانهم المهاجرين على أنفسهم ، بالرغم من فقرهم وسوء حالهم وما كانوا فيه من حاجة [1] .

3- قوله تعالى : ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ...** ﴾ [2] : أمر الله سبحانه في الآية بالتعاون بين الأفراد في المجتمع الواحد لما فيه من التضامن والتكافل ، وهو يشمل كل تعاون في الخير معنوياً كان أم مادياً ، متمثلا في: التزاور والقرض الحسن ، وإغاثة المكروب ، ومساعدة المحتاج ، وسداد دين المدينين .

"والبر هو اسم جامع للخير ، فمن البر إعطاء المال وإنفاقه ابتغاء مرضاة الله ، وإيصال ذلك المال إلى الفقراء وخاصة من الأقارب إذا كانوا فقراء محتاجين ، ومن البر إعطاء المساكين الذين لهم دخل لا يكفيهم ولا يسد رمقهم ، وكذلك ابن السبيل الذي انقطع من الزاد والمال في حال السفر ، ومن البر أيضاً شراء الرقاب وإعتاقها ، وبهذا يكون البر هو قمة التعاون والتعاضد والتضامن ، وهو سبيل إلى التكافل الاجتماعي الذي يساهم مساهمة فعّالة في علاج مشكلة الفقر"[3] .

وبهذا يتبين لنا أثر التكافل الاجتماعي في علاج مشكلة الفقر حيث يولد ذلك التكافل شعوراً بالرحمة والرأفة بخلق الله بعيداً عن الأنانية وحب الذات ، كما يشيع ذلك الشعور جواً من المحبة والوئام بين أبناء المجتمع الواحد بحيث يرقُّ قويهم لضعيفهم ، ويعطف غنيهم على فقيرهم، ويحسن قادرهم على عاجزهم ، مما ينشئ مجتمعاً متعاوناً متراحماً متماسكاً كالجسد الواحد يعيش فيه الفقير في كنف الغني ، ويستظل فيه الضعيف بمظلة القوي ، فالتكافل الاجتماعي إذن من أهم وسائل علاج الفقر.

المطلب الثالث: الحقوق المفروضة في الأموال:

أولاً: الزكاة:

استمر القرآن الكريم في العهد المكي وبداية العهد المدني يحض المسلمين بأساليب مختلفة على الإنفاق في سبيل الله وسد حاجة الفقراء والمحتاجين دون أن يحدد لهم نوع المال الذي ينفقونه ، والمقادير التي يجب أن تنفق من ذلك المال تاركاً ذلك منوطاً بجودهم وكرمهم وضمائرهم ، ولقد كانت نفوسهم تطمح إلى تحديد لتلك النفقة وبيان شروطها ونصابها حيث كانت مدار بحث بينهم وبين رسول الله ﷺ كما صور ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى :

---

(1) انظر : تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ج4 ، ص 337.

(2) سورة المائدة : الآية "2".

(3) فتح القدير – للشوكاني – ج1 ، ص 172 ، 173 "بتصرف" .

﴿ **يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُــلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ (1) .

وقد شرعت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة ، حيث فرضها الله وفاء بحاجات المحتاجين ، وتحقيقاً لمصالح المجتمع ، وهي ركن من أركان الإسلام فرضها الله حقاً في مال الغني وجعلها على كل مسلم بالغ عاقل إذا بلغ ماله نصاباً معيناً من المال وحال عليه الحول ، والزكاة مورد مالي ضخم حيث تعتبر من أهم موارد الدخل للفقراء والمحتاجين ، ومن الوسائل الهامة في علاج مشكلة الفقر إذا أحسن توزيعها ، وأنفقت في مصارفها التي بينها الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (2) .

فقوله : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ أي الزكوات لأولئك المعدومين دون غيرهم ، فالفقير هو من لا مال له ولا كسب يقع موقعاً من حاجته ، والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه ، والمسكين من السكون فكأن العجز أسكنه (3).

ثانياً- الكفارات والفدية:

1- الكفارات .

لم يكتفِ التشريع القرآني بفرض حقوق مالية للفقراء والمساكين في أموال الأغنياء فحسب ، بل فرض على المخالفين لأحكامه الشرعية أن يدفعوا جزءاً من مالهم عند كل مخالفة لأحكام الشريعة حدد لها كفارة تكفيراً عن تلك المخالفة ، فالكفارة إذن ليست صدقة طوعية ولا إحسان اختياري ، بل هو أمر واجب حتمي يبذله المرء تكفيراً لما اقترفه من مخالفات شرعية ، وقد عرف الدكتور عبد العزيز الخياط الكفارة بقوله : "الكفارة عقوبة قدرها الشارع عند ارتكاب مخالفة لأوامر الله تعالى في حالات خاصة وهي حق لله تعالى تكفيراً للذنب الذي ارتكبه المسلم وعقوبة له وزجراً لغيره" (4).

وتتجلى لنا أهمية الكفارات وآثارها الاجتماعية ودورها في علاج مشكلة الفقر باستعراض أنواع الكفارات ومقاديرها وهي:

---

(1) سورة التوبة : الآية "215".

(2) سورة التوبة : الآية "60".

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل – للبيضاوي – ج1 ، ص 409.

(4) المجتمع المتكافل في الإسلام ، ص 178.

أ- كفارة اليمين:

ويقصد باليمين هنا اليمين المنعقدة التي وردت في قوله تعالى : ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ...**﴾ (1).

فالحانث بالخيار بين الإطعام والكسوة والعتق فإن لم يستطع فصيام ثلاثة أيام ويلاحظ أن التشريع القرآني قد بدأ في الكفارة من الأسهل كما قال ابن كثير رحمه الله : "بدأ بالأسهل فالأسهل ، فالإطعام أسهل وأيسر من الكسوة ، كما أن الكسوة أيسر من العتق ، فترقى فيها من الأدنى إلى الأعلى فإن لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام" (2).

ب- كفارة الظهار:

وهذه الكفارة تجب على من ظاهر من زوجه قائلاً لها : أنت علي كظهر أمي فتصبح الزوجة محرمة عليه حتى يكفر عن ظهاره وذلك تأديباً له لعدم صون لسانه ، واستهانته بحقوق الزوجية ورابطتها المقدسة وكفارة الظهار عتق رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو إطعام ستين مسكيناً والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ...** ﴾ (3).

وقد تحدث الإمام القرطبي عن كفارة الظهار فقال : "ذكر الله عز وجل الكفارة هنا مرتبة فلا سبيل إلى الصيام إلا عند العجز عن الرقبة ، وكذلك لا سبيل إلى الإطعام إلا عند عدم الاستطاعة على الصيام ، فمن لم يطق الصيام وجب عليه إطعام ستين مسكيناً لكل مسكين مدَّان بمد النبي ﷺ " (4).

ج- كفارة التمتع:

نص الله سبحانه وتعالى عليها بقوله : ﴿ **فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا**

---

(1) سورة المائدة : الآية "89" .

(2) انظر : فتح القدير – للشوكاني – ج5 ، ص 181 .

(3) سورة المجادلة : الآيتان "3-4" .

(4) الجامع لأحكام القرآن ، ج17 ، ص 272 .

اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ...﴾ (1) ، "أي فليذبح ما قدر عليه من الهدي وأقله شاة ، وله أن يذبح البقر لأن رسول الله ﷺ ذبح عن نسائه البقر" (2) ، وفي هذه الكفارة مساهمة واضحة وفعالة في علاج مشكلة الفقر، خاصة أن تلك الذبائح أصبحت تذبح بصورة منظمة إذ لا تتعرض إلى التعفن والتلف كما كان يحدث في الماضي ، كما أن الكثير من تلك الذبائح أصبحت تصل إلى بيوت الفقراء في البلاد الإسلامية عن طريق شحنها إليهم بعد موسم الحج من كل عام.

د- كفارة قتل الصيد في الحج:

وهذه الكفارة قررها الله سبحانه بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ...** ﴾ (3).

قال الإمام الخازن في تفسيره : "والكفارة في الصيد أثناء الإحرام تدور بين أشياء ثلاثة: إما أن تكون الكفارة هدياً يساق إلى الكعبة ثم يذبح في الحرم ويتصدق به على الفقراء والمساكين فذلك الهدي المذبوح هو المثل من النعم ، وإن رغب قيِّم المثل دراهم أو طعاماً ثم يتصدق به على مساكين الحرم ، وإن أراد صام عن كل مد من الطعام يوماً" (4) .

ويلاحظ أن كفارة قتل الصيد أثناء الإحرام قد جعل الله فيه للفقراء حظاً وافراً ونصيباً كبيراً يخفف من بؤسهم وحرمانهم ، فالقاتل للصيد سواء أ ساق هدياً إلى الكعبة ثم ذبحها ، أم تصدق بقيمة ذلك مالاً أو طعاماً فإن ذلك عائد في النهاية للفقراء والمساكين مما يساهم مساهمة فاعلة في علاج مشكلة الفقر.

هـ- كفارة الجماع في رمضان:

وهذه الكفارة تجب على من واقع امرأته في نهار رمضان ، وكفارة من فعل ذلك على الترتيب عتق رقبة فإن لم يستطع فصيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ، والأصل في هذه الكفارة ما ثبت في السنة المطهرة من حديث الأعرابي الذي واقع زوجه في نهار رمضان وهو حديث صحيح رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجل فقال :

---

(1) سورة البقرة : الآية "196".

(2) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج1 ، ص 233.

(3) سورة المائدة : الآية "95".

(4) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج2 ، ص 78-79.

هلكت ، قال : ولم ؟ قال : وقعت على أهلي في رمضان ، قال : فأعتق رقبة ، قال : ليس عندي رقبة ، قال : فصم شهرين متتابعين ، قال : لا أستطيع ، قال : فأطعم ستين مسكيناً قال : لا أجد ، فأتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر فقال : أين السائل ؟ قال : هأنذا ، قال : تتصدق بهذا ، قال : على أحوج منا يا رسول الله ؟ والذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أحوج منا ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ، قال : فأنتم إذن" [1].

وما جاء في هذا الحديث من إجزاء صرف الكفارة إلى أهل السائل المكفر خصوصية له لا تتعدى إلى غيره ولا يمكن اعتبارها قاعدة مطردة [2].

2- الفدية:

شرع الله تبارك وتعالى الفدية لمن لم يتمكن من العباد المكلفين من القيام ببعض ما افترض الله عليهم أو لمن لا يتمكن من أدائه على الوجه الأكمل ، فكل من عجز عن الصيام عجزاً دائماً كالشيخ الفاني والمريض بمرض مزمن الذي لا يرجى برؤه ، والمرأة العجوز التي لا تستطيع الصوم لهرمها ومرضها فأولئك الذين لا يطيقون الصوم بالكلية أو يتحملونه بمشقة بالغة قد أباح الله لهم الفطر ورخصه لهم مقابل فدية وهي إطعام مسكين عن كل يوم يفطرونه وهي مقدار صدقة الفطر ، وفي ذلك قال سبحانه : ﴿ ... **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ... ﴾ [3].

فبهذه الآية ثبتت لهم هذه الرخصة، فوجبت عليهم الفدية كما قال (الزمخشري) في تفسير الآية : "أي الذين يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم أُولئك الإفطار والفدية" [4].

وقال الإمام الشوكاني : أخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب في قوله : ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ**﴾ قال : "الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم فيفطر ويطعم مكان كل يوم مسكيناً" [5].

---

(1) صحيح البخاري - كتاب النفقات - باب نفقة المعسر على أهله ، ج6 ، ص 238 ، حديث رقم (5368).

(2) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة – للشيخ عبد الرحمن الجزيري – ج1 ، ص 580.

(3) سورة البقرة : الآية "184".

(4) الكشاف ، ج1 ، ص 224.

(5) فتح القدير ، ج1 ، ص 181.

وكذلك فمن حلق شعره وهو محرم لضرورة دعته إليه لزمته الفدية وهو مخير فيها بين الصيام أو التصدق أو الذبح وذلك بدليل قوله تعالى : ﴿ ... **وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...** ﴾ (1).

أي فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق (أو به أذى من رأسه) وهو القمل أو الجراحة فعليه إذا احتلق فدية (من صيام) ثلاثة أيام (أو صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر أو (نسك) وهو شاة (2) .

فذلك كله يؤدي إلى التوازن الاجتماعي السليم الذي يحقق الرخاء فينشئ مجتمع الكفاية والعدل والمساواة والذي لا يتحقق إلا في ظل التطبيق الكامل لتشريعات الله سبحانه.

ثالثاً: النذور:

"النذور جمع نذر ، وهو التزام قربة غير لازمة في أصل الشرع بلفظ يشعر بذلك مثل أن يقول المرء لله عليّ أن أتصدق بمبلغ كذا ، أو إذا شفى الله مريضي فعليّ صيام ثلاثة أيام ونحو ذلك" (3).

والنذر مشروع في الكتاب والسنة ، ففي الكتاب قوله سبحانه : ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾ (4).

وفي السنة قول النبي ﷺ : "من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه"(5).

فإذا نذر المرء نذراً مالياً في وجه من وجوه الطاعة كان للفقراء فيه نصيب وإذا نذر في معصية كان عليه كفارة يمين وكان للفقراء فيه نصيب أيضاً كما قال النبي ﷺ : "النذر نذران فما كان من نذر في طاعة الله تعالى فذلك لله تعالى وفيه الوفاء وما كان من نذر في معصية الله

---

(1) سورة البقرة : الآية "196".

(2) الكشاف – للزمخشري – ج1 ، ص 238.

(3) فقه السنة – للشيخ السيد سابق – ج3 ، ص 33.

(4) سورة البقرة : الآية "270".

(5) صحيح البخاري – كتاب الأيمان والنذور – باب النذر في الطاعة ، ج7 ، ص 295 ، حديث رقم (6696).

تعالى فذلك للشيطان ولا وفاء فيه ويكفره ما يكفر اليمين" [(1)].

وبالإضافة إلى الدور البارز الذي تساهم فيه النذور في علاج مشكلة الفقر فإنهـا أيـضاً تخلق جـواً هادئـاً مفعمـاً بالحب والاحترام بين الناذر والفقير مما يؤدي إلى توطيد العلاقـات الاجتماعية بين أفـراد المجتمع والذي يحقق بدوره الأمن والكفاية بعد الخوف والحاجة والكفاف.

رابعاً: زكاة الفطر:

زكاة الفطر واجب مالي فرضه النبي ﷺ على كل فرد من المسلمين صـغيراً أم كبيـراً ذكراً أم أنثى حراً أم عبداً ، وقد شرعت في السنة الثالثة من الهجرة طهرة للـصائم مـن اللغـو والرفث وطعمة للمساكين وإغناء لهم عن الحاجة وذل السؤال.

وأما الحكمة في مشروعيتها وإيجابها فيبينها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قـال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبـل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات" [(2)].

فهذا الحديث الشريف قد بيَّن أن زكاة الفطر شرعت لتحقيق هدفين:

الأول : يتعلق بالصائم الذي لا يخلـو صيامـه من أن يكـون شابه شائب مـن رفـث الكـلام ولغـو فـي القـول فشرعت هذه الزكاة لتطهر المسلم مما شاب نفسه أو علق بصيامه من لغـو ورفث [(3)].

الثـاني : التخفيف من بؤس الفقراء وشقاء المحرومين في يوم العيد خاصة أن أفضل أوقاتها آخر شهر رمضان ، والحكمة من تأخير الزكاة إلى ذلك الوقت لإغناء الفقراء يوم العيد بتمكينهم مـن تلبية احتياجاتهم ، فالعيد يوم فرح وسرور وأكل وشرب، ينبغي أن يشعر أبناء الفقراء بما يـشعر به أبناء الأغنياء ، وبهذا يتبين لنا دور زكاة الفطر في التخفيف عن الفقراء والمساهمة فـي سـد حاجاتهم.

خامساً: الأضاحي والهدي:

أولاً : الأضاحي:

هي جمع أضحية، وهي الذبيحة التي شرعها الله سبحانه تقرباً إليه وإحياء لسنة إبـراهيم

---

(1) سنن النسائي بشرح السيوطي ، ج7 ، ص 28 ، 29 ، وقد صححه السيوطي.

(2) المستدرك على الصحيحين – للحاكم – ج1 ، ص 568 ، حديث رقم (1488) ، وقـال الحـاكم : صحيح على شرط البخاري.

(3) انظر : فقه السنة – السيد سابق – ج1 ، ص 413 ، 414.

عليه السلام وقد ثبتت مشروعيتها في الكتاب بقوله تعالى:﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [1] وفي السنة ما ورد في الصحيح عن أنس بن مالك قال : ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين [2] أقرنين قال : ورأيته يذبحهما بيده ورأيته واضعاً قدمه على صفاحهما [3] وسمى وكبر" [4].

وانطلاقاً من الدور البارز الذي تساهم فيه الأضاحي في علاج مشكلة الفقر فقد أجاز علماء المسلمين نقل الأضاحي من بلد إسلامي إلى بلد آخر مما يساهم في عملية التكافل الاجتماعي بين أبناء الأمة ، والتخفيف من بؤس الفقراء وحرمانهم ، والأضاحي لها أثر كبير في تقوية الصلات ونشر المودة والوئام بين الأغنياء والفقراء وذلك حين يتهادون اللحوم فيما بينهم في العيد مما يشيع جواً من المحبة والتعاون بينهم ، كما تحقق هذه الأضاحي علاقة طيبة بين الأغنياء والفقراء مما يشيع جواً جميلاً من التراحم والتعاطف بين أبناء المجتمع الواحد تبقى آثاره الإيجابية طيلة أيام العام.

وقد رأى الباحثان أن الأضاحي وإن كانت سنة مؤكدة إلا أنها في حق الأغنياء واجبة وهي من الحقوق المفروضة في أموالهم ومن الحقوق التطوعية بالنسبة لغيرهم وعلى كلا الحالين فالأضاحي وسيلة مثمرة وناجحة من وسائل معالجة مشكلة الفقر.

ثانياً: الهدي:

وهو ما يهدى من النعم إلى الحرم تقرباً إلى الله عز وجل ، وقد أجمع العلماء على أن الهدي لا يكون إلا من النعم وهي الإبل والبقر والغنم الذكر منها والأنثى، كما اتفقوا على أن الأفضل الإبل ثم البقر ثم الغنم لأن الإبل أنفع للفقراء من البقر ، والبقر أنفع من الغنم والظاهر أن المعتبر في الهدي هو ما كان أنفع للفقراء [5].

ويعد الهدي من الحقوق التطوعية والحقوق الواجبة أيضاً فهو مستحب بالنسبة للحاج المفرد حيث إنه بالخيار إن رغب أهدى وأثيب على هديه وإن أراد لم يهد ولا إثم عليه ، والهدي

---

(1) سورة الكوثر : الآية "2".

(2) الأملح الذي بياضه أكثر من سواده ، وقيل النقي البياض – النهاية لابن الأثير – ج4 ، ص 345.

(3) الصفاح بكسر الصاد الجوانب – والمراد هنا الجانب الواحد من وجه الأضحية – النهاية ، ج4 ، ص34.

(4) أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي – باب استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل – ج3 ، ص 1577 ، حديث رقم (1966).

(5) انظر: فقه السنة – للشيخ السيد سابق – ج1 ، ص 737.

واجب على القارن والمتمتع، وواجب أيضاً على من ترك واجباً من واجبات الحج كرمي الجمار والإحرام من الميقات والجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة أو منى أو ترك طواف الوداع ، وهو واجب أيضاً على من ترك محظوراً من محظورات الإحرام غير الوطء كالتطيب والحلق ، وواجب أيضاً على من قام بجناية على الحرم كالتعرض لصيده أو قطع شجره [1].

وقد أمر الله صاحب الهدي أن يأكل من هديه وأن يطعم منه البائس الفقير وذلك في قوله تعالى : ﴿... **فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** ﴾ [2].

فالبائس الذي أصابه بؤس أي شدة ، والفقير الذي أضعفه الإعسار ، وقد قال ابن عباس في التفريق بينهما ، البائس الذي ظهر بؤسه في ثيابه وفي وجهه ، والفقير الذي لا يكون كذلك فتكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني [3] .

كما جعل الله سبحانه وتعالى في الهدي نصيباً للقانع والمعتر وذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ** ﴾ [4].

فالقانع هو الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل ، والمعتر هو الذي يخرج من بيته فيسأل الناس طالباً مساعدتهم وعونهم [5].

وبهذا يتبين لنا دور الهدي في إطعام البائس والفقير والقانع والمعتر ويسهم مساهمة فعالة في علاج مشكلة الفقر.

المطلب الرابع: الحقوق التطوعية في الأموال:

أولاً: الصدقات.

الصدقات التطوعية باب عظيم من أبواب الخير ، وطريق واسع من بين طرقه الكثيرة يقبل المرء عليها طواعية من نفسه ، لا يدفعه إلى البذل والعطاء والبر والإحسان إلا الضمير الحي والدافع الذاتي دون أن يكون لأي جهة عليه أدنى سلطان ، والصدقات درب من دروب الخيرات التي حث الله إلى المسارعة والاستباق إليها حيث قال : ﴿ ... **فَاسْتَبِقُوا**

---

(1) فقه السنة – للسيد سابق – ص 228 بتصرف.

(2) سورة الحج : الآية "28".

(3) انظر : التفسير الكبير – للفخر الرازي – ج23 ، ص 30.

(4) سورة الحج : الآية "36".

(5) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل – للخازن – ج3 ، ص 258.

الْخَيْرَاتِ... ﴾ (1) ، وقد وعد الله المصدقين والمصدقات بمضاعفة الثواب وبالأجر الكريم حيث قال : ﴿ **إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾(2) .

وتعظيماً لأمر الصدقات وترغيباً بها وحثاً عليها فقد أسند الله سبحانه وتعالى أخذ الصدقة إلى نفسه فقال : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ** ﴾(3).

قال الخازن في قوله: ﴿ **وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ** ﴾ يعني يقبلها ويثيب عليها وإنما ذكر لفظ الأخذ ترغيباً في بذل الصدقة وإعطائها الفقراء ، وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الأخذ إلى نفسه وإن كان الفقير أو السائل هو الآخذ لها ، وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وأن الله تعالى يقبلها من عبده المتصدق (4) .

إن هذه الآيات التي ترغب في الصدقات وتحث عليها ما هي إلا دليل على حرص التشريع القرآني في التخفيف من بؤس الفقراء وشقائهم ، فالصدقات أبوابها فسيحة ومجالاتها واسعة وثوابها جزيل عظيم ، فلا مناص من أن يتكاسل أحد عن التصدق مدعياً أنه عاجز عنها ، فمن كان عاجزاً عن عظيمها فله أن يتصدق بما تجود به نفسه ولو بأقل القليل فيساهم في سدِّ رمق جائع والتخفيف من بؤس فقير ، وبهذا يتبين لنا أن الصدقات سيل من الخيرات ونهر وافر البركة لا ينقطع على مدار العام ، فهي تسدُّ النقص الذي لا تغطيه الحقوق المفروضة فتساهم مساهمة فاعلة في علاج مشكلة الفقر.

ثانياً: الهبات:

الحصول على المال عن طريق الهبة طريق مشروع أحله الله سبحانه وتعالى للموهوب له وأباح له التصرف بالهبة كيفما رغب كما لو كان حاصلاً عليها بكدِّه وسعيه واجتهاده ، حيث نظر التشريع القرآني إلى الهبة على أنها وسيلة من وسائل الكسب الحلال ، وهي وسيلة من وسائل علاج الفقر خاصة إذا كان الموهوب له المال فقيراً يعاني من البؤس والقلة والحرمان عندئذ تكون الهبة بالنسبة له بلسماً شافياً وعلاجاً سريعاً حيث ينتقل ما بين عشية

---

(1) سورة البقرة : الآية "148".

(2) سورة الحديد : الآية "18".

(3) سورة التوبة : الآية "104".

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج2 ، ص 404.

وضحاها من الفقر إلى الغنى.

والهبة: "هي عقد صريح يتصرف بمقتضاه الواهب في ماله دون عوض" ، أو هي "تمليك عين بلا شرط عوض" [1].

وقد دلَّ القرآن الكريم على مشروعية الهبة حيث قال سبحانه : ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً** ﴾ [2].

حيث دلت الآية الكريمة على أنه يجوز للزوج أن تهب صداقها لبعلها بكراً كانت أم ثيباً وبه قال جمهور العلماء [3].

وقال الفخر الرازي : "إعلم أنه تعالى لما أمرهم بإيتائهن صدقاتهن عقب ذلك بجواز هبة المرأة صداقها لبعلها" [4].

ويجب أن تخرج الهبة من يد الواهب عن طيب نفس وقناعة؛ كي لا يتراجع الواهب عنها ، لأن التراجع عن الهبة فيه حرج وأذى للموهوب له ، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك ونفَّر منه حيث قال : "العائد في هبته كالكلب يقئ ثم يعود في قيئه" [5].

فالهبات لها أثر عظيم في نشر الألفة والمحبة وسدِّ الحاجات ، كما تعد عاملاً مساعداً للتخفيف من شقاء الفقراء وبؤسهم حيث يتحول الفقير بها أحياناً إلى غني أو ينتقل من مرحلة العدم والعوز والحاجة إلى حدِّ الكفاية بحيث يصبح في غنى عن سؤال الناس وطرق أبوابهم .

ثالثاً: كفالة الأغنياء للأقارب الفقراء:

حث التشريع القرآني الحكيم المسلم الغني على الإنفاق على أقرب الناس إليه وهما والداه ومن يليهما من الأقارب ، فهم أولى الناس بالبر والإحسان من قبل قريبهم الغني ؛ لأنه أعلم الناس بأحوالهم ، وأشفق الخلق عليهم ، وأرأفهم بهم ، وفي ذلك قال سبحانه : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ** ... ﴾ [6].

---

(1) الميراث والوصية والهبة في الشريعة الإسلامية والقانون – بدران أبو العينين بدران – ص 216.

(2) سورة النساء : الآية "4".

(3) انظر : الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – ج5 ، ص 30.

(4) التفسير الكبير ، ج9 ، ص 189.

(5) صحيح البخاري – كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها – باب هبة الرجل لأمرأته والمرأة لزوجها، ج3 ، ص 183 ، حديث رقم (2589).

(6) سورة البقرة : الآية "215".

كما سمى الله سبحانه حق الفقراء خيراً ، وحكم بالفلاح والفوز لمن أدى ذلك الحق وذلك بقوله تعالى: ﴿ **فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[1] .

قال الإمام الشوكاني في تفسير الآية : "أشار الله سبحانه وتعالى إلى ما ينبغي من مواساة القرابة وأهل الحاجات ، والخطاب هنا للنبي ﷺ وأمته ، أو لكل مكلف له مال وسع الله به عليه ، وقدم ذلك الإحسان إلى القريب؛ لأن القريب هو أولى الناس بالصدقة ، وخير الصدقة ما كانت على قريب فهي صدقة مضاعفة بالإضافة إلى أنها صلة رحم مرغب فيها" [2] .

ولم تغفل السنة المطهرة عن حقوق ذوي القربى الفقراء حيث قال _ﷺ_: "إبدأ بنفسك وتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك فهكذا وهكذا"[3].

وجدير بالذكر أن كفالة الغني لقريبه الفقير لا تعني مجرد صدقة من الصدقات بين الحين والآخر ، لكن الكفالة هنا لها مفهوم أوسع وأشمل وهي أن يتعاهده بصدقاته وأمواله وأن يداوم على بره وإحسانه ، وأن يقوم على تلبية حاجاته وذلك بتخصيص نصيب معلوم له يغنيه عن سؤال الناس ، فالغني هو أولى الناس بالإحسان لقريبه الفقير وأعطف الناس عليه وأكتمهم لسره .

رابعاً: كفالة اليتامى:

اليتامى جمع يتيم وهو من الناس من فقد أباه قبل سنِّ البلوغ ، وهي السن التي يستغني فيها عن كفالته ، وفي عرف الفقهاء من مات أبوه وهو صغير فمتى بلغ زال يتمه ، إلا إذا بلغ سفيهاً فإنه يكون في حكم اليتيم ولا يزول عنه الحجر [4].

فالإنسان في مرحلة الطفولة محتاج إلى من يقوم على أمره من كسوة وغذاء ورعاية ، ويعلمه ويهذب أخلاقه ويصلح أمره ويقوم على شئونه فمن كان له أب فأبوه يقوم بهذه المهام والمسئوليات كلها من غير تقصير ، وليس هناك حاجة إلى وصي أو كافل ، أما اليتيم فهو بحاجة

---

(1) سورة الروم : الآية "38".

(2) انظر : فتح القدير ، ج4 ، ص 226.

(3) صحيح مسلم – كتاب الزكاة – باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة ، ج2 ، ص 692 ، حديث رقم (41).

(4) انظر : تفسير المنار – للأستاذ محمد رشد رضا – ج4 ، ص 278.

إلى من يعوله ويرعاه ، أما إذا قسا أبناء المجتمع عليه وحرموه العطف والرحمة ومنعوه المحبة والمودة وتركوه نهباً للفقر والحاجة فسيقسو على مجتمعه وتمتلئ نفسه بالحقد والكراهية ، وقد يلجأ إلى المسألة والتسول في الطرقات ويصبح نقطة ضعف في المجتمع ، ومنظراً يسوء الناظرين ووصمة عار في جبين الأغنياء من المسلمين (1).

قال الأستاذ محمد رشيد رضا : "تتعلق كفالة اليتامى وكفايتهم بأهل الوجد واليسار من المسلمين كيلا تسوء حالهم فيكونوا مصائب على أنفسهم وعلى الناس" (2).

ولقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً باليتيم فأمر بكفالته والإحسان إليه فقال سبحانه : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ...** ﴾ (3) ، وامتدح البارين باليتامى المطعمين لهم رغم شحة الطعام بين أيديهم وقلته عندهم وشهوتهم له ، فقال : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً** ﴾ (4).

كما حث النبي ﷺ على كفالة اليتيم والترغيب فيها فقال : "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما" (5).

فاليتيم الذي يمُنُّ الله عليه بالكفالة ضمن أسرة مؤمنة تقية يكون بنعمة عظيمة من الله حيث يتقي بذلك شقاوة البؤس والحرمان ويعوض ما فقده من حنان وعطف وبر ورعاية ، لذلك لا بد من رفع راية الكفالة التي تنبض بكل معاني الرحمة والإنسانية في كل المجتمعات الإسلامية فهم أمانة في أعناق الأغنياء من أبناء الأمة وإهمالهم وعدم الاهتمام بشئونهم يعد وصمة عار ونقطة ضعف في جبينها.

المبحث الثالث

علاج مشكلة الفقر في ضوء الكتب السماوية والواقع

المطلب الأول: علاج مشكلة الفقر في ضوء نصوص (التوراة):

لا شك أنّ اليهود عبر السنين الطويلة قد حرفوا توراتهم فقلبوا حقائقها، وهذه حقيقة يجب التنبيه

(1) انظر : رعاية اليتامى والضعفاء في الإسلام ، رسالة دكتوراه مقدمة من محمد شوقي محمد محمد نصار ، ص 13 ، 14.

(2) انظر : تفسير المنار ، ج2 ، ص 94.

(3) سورة النساء : الآية "36" .

(4) سورة الإنسان : الآية "8" .

(5) صحيح البخاري – كتاب الطلاق – باب اللعان ، ج6 ، ص 218 ، حديث رقم (5304).

إليها، وسوف تظهر لنا نظرة الديانة اليهودية لمشكلة الفقر من خلال تتبع بعض نصوص التوراة المتعلقة بالفقر والفقراء:

1- وجدنا بعض تلك النصوص قد دعت إلى الكدّ والعمل ومحذرة من البطالــة والكــسل مثــل: "المشتغل بأرضه يشبع خبزاً، وتابع البطّالين يشبع فقراً"[1].

ومنها: "لا تحب النوم لئلا تفتقر، افتح عينيك تشبع خبزاً"[2].

ومنها: "العامل بيدٍ رخوة يفتقر، أما يد المجتهدين فتغني"[3].

2- حثت بعض تلك النصوص على الاستقامة ونهت عن الاعوجاج والانحراف ومبينة أنّ الفقر مع الاستقامة أفضل من الغني مع الاعوجاج مثل:

"الفقير السالك باستقامته خير من معوج الطريق وهو غني"[4].

3- ودعت بعض تلك النصوص إلى الرحمة والرأفة بالمساكين مثل:

"لأنه لا تفقد الفقراء من الأرض لذلك أنا أوصيك قائلاً: افتح يدك لأخيك المــسكين والفقيــر فــي أرضك"[5].

ومنها: "من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه"[6].

ومنها أيضاً: "إن كان أحد فقير أحد من اخوتك في أحد أبوابك في أرضك التي يعطيك الربُ إلهك فلا يقسّ قلبك عليه، ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير بل افتح يدك له وأقرضه مقدار ما يحتــاج إليه"[7].

ومنها: "لا تسلب الفقير لكونه فقيراً، ولا تسحق المسكين في الباب"[8].

ومنها أيضاً: "اقض بالعدل وحام عن الفقير والمسكين".

4- كما رغِّبت بعض نصوص التوراة المنفقين علي الفقراء بالسعادة والثواب وأنذرت المعرضين

---

(1) سفر الأمثال: "الإصحاح 28 الفقرة 19".

(2) سفر الأمثال: "الإصحاح 20 الفقرة 13".

(3) سفر الأمثال: "الإصحاح 10 فقرة 4".

(4) سفر الأمثال: "الإصحاح 28 الفقرة 6 ".

(5) سفر التثنية: "الإصحاح 15 الفقرة 11 ".

(6) سفر الأمثال: "الإصحاح 19 الفقرة 17 ".

(7) سفر التثنية – "الإصحاح 15 – الفقرتان "7، 8".

(8) سفر الأمثال – "الإصحاح 22 الفقرة 22".

عنهم باللعنة والعقاب مثل: "من يعطي الفقير لا يحتاج، ولمن يحجب عنه عينية لعنات كثيرة"[(1)].
ومنها: "أليس أن تكسر للجائع خبزك ؟ وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك، إذا رأيت عرياناً أن تكسوه، حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك"[(2)].

5- وقد نهت بعض هذه النصوص عن ظلم الفقراء والمساكين ودعت إلى إنصافهم مثل: "الملك الحاكم بالحق للفقراء يثبت كرسيُّه إلى الأبد"[(3)].

ومنها: "لا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير"[(4)].

6- وبينت بعضها أن الخطايا تؤدي إلى الفقر " اسمع أنت يا ابني وكن حكيماً وارشد قلبك في الطريق، لا تكن من شريبي الخمر بين المتلفين أجسادهم، لأن السكير والمسرف يفتقران"[(5)].

ومن النصوص التي حذرت من الخطايا أيضاً: "لأنه بسبب امرأة زانية يفتقر المرء إلى رغيف خبز"[(6)].

7- كما بينت بعضها أن الفقر والغنى بيد الله تعالي "الربُّ يميت ويحيي ويهبط ويصعد، الربُّ يفقر ويغني، يضع ويرفع، يقيم المسكين من التراب ويرفع الفقير من المزيلة للجلوس مع الشرفاء"[(7)].

وهكذا نلاحظ من خلال عرض تلك النصوص أنها عبارة عن مجموعة من النصائح والمواعظ غير الملزمة، دون أن تضع لعلاج هذه المشكلة خطة اقتصادية حكيمة لبترها والقضاء عليها.

المطلب الثاني: علاج مشكلة الفقر في ضوء نصوص الإنجيل :

جاءت المسيحية في وقت كانت المادية الجشعة قد طغت على اليهود، وتربعت على عقولهم وعشعشت في قلوبهم، وخيمت على بيئتهم، حيث وصل اليهود في عهد المسيح عليه السلام منتهى الجشع وعبادة المال والتفنن باكتناز وجمعه، وكان أغنياؤهم على درجة عالية من القسوة وموت الضمير، وكان رجال دينهم لا يألون جهداً في تحريف نصوص توراتهم لتتمشى

---

(1) سفر الأمثال: "الإصحاح 28 – الفقرتان "27".
(2) سفر أشعياء: "الإصحاح 28 الفقرة 7، 8".
(3) سفر الأمثال: "الإصحاح 29 الفقرة 14".
(4) سفر زكريا: "الإصحاح 7 الفقرة 10".
(5) سفر الأمثال: "الإصحاح 23 الفقرتان 19: 20".
(6) سفر الأمثال: "الإصحاح 6 الفقرة 26".
(7) صموئيل الأول – "الإصحاح 2 – الفقرات 6: 8".

مع مصالحهم ونمط حياتهم المادية، فكان طبيعياً أن تتجه رسالة المسيح عليه السلام قبل كل شيء إلى تطهير النفوس من كل تلك الرذائل، وتصحيح ما انتهت إليه اليهودية من تفاوت طبقي مهين، ومن هنا يتبين لنا السبب في كثرة الوصايا والنصائح والمواعظ من قبل المسيح والتي تتعلق بالمال والانهماك الشديد في جمعه وكنزه، حيث قابلت النصرانية إفراط اليهود في الجوانب المادية الدنيوية إلى الاهتمام بالروح وتخليصها من علائق هذه المادة، فكانت الرهبانية هي المثل الأعلى فيها دون العناية بالتشريعات الدنيوية عناية تُذْكر.

فبالنسبة لعلاج مشكلة الفقر لم تضف الرسالة المسيحية في علاجها للفقر جديداً، بل اكتفت بأسلوب الوصايا والعظات استثارةً للعواطف الإنسانية واستدراراً لبرّ الناس وإحسانهم على الفقراء دون أن تأتي بمبادئ عملية تلزم الأغنياء بكفاية حاجة الفقراء والمحتاجين [(1)].

وهذه بعض النصوص التي أظهرت لنا مدى دور الشريعة المسيحية في علاج هذه المشكلة:

1- دعت بعض تلك النصوص إلى حياة التقشف والزهد والصبر ومٌحببة إليهم حياة الحرمان ومن تلك النصوص " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان " [(2)].

ومنها: "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون، أليست الحياة أفضل من الطعام ؟ والجسد أفضل من اللباس ؟ انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوي يقوتها، ولماذا تهتمون باللباس ؟ فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه"[(3)].

2- دعت بعض تلك النصوص إلى الرحمة والبر بالفقراء والمساكين كما حثت على إطعامهم والتصدق عليهم ومن تلك النصوص "طوبى للرحماء لأنهم يرحمون"[(4)].

ومنها: "بيعوا مالكم وأعطوا صدقة"[(5)].

ومنها: "من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا تردَّه"[(6)].

ومنها أيضاً: "إذا صنعت غذاء أو عشاء فلا تدعُ أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران

---

(1) لماذا أنا مسلم – تأليف عبد المتعال الصعيدي – ص 35 "بتصرف".

(2) إنجيل متى – الإصحاح " 5 " – الفقرة "7".

(3) إنجيل متى – الإصحاح "6" – الفقرات "25 – 34".

(4) إنجيل متى – الإصحاح "4" الفقرة "4".

(5) إنجيل لوقا – الإصحاح "3" – الفقرة "11".

(6) إنجيل متى – الإصحاح "5" – الفقرة "42".

الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة، بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدَّع العرَّج العمي فيكون لك الطوبي إذ ليس لهم حتى يكافئوك، لأنك تكافى في قيامة الأبرار"[1].

3- كما بنيت بعض تلك المواعظ جزاء من أطعم فقيراً مثل: " تعالوا تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليّ، فتجيبه الأبرار حينئذ قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك ؟ أو عطشاناً فسقيناك ؟ ومتى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك ؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك ؟ فيجيب الملك قائلاً لهم: "الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم"[2].

4- وحذرت بعض تلك النصوص من إظهار الصدقة أمام الناس مثل: "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراءون في المجامع والأزقة لي يُمجَّدوا من الناس"[3].

5- وفضلت تلك النصوص صدقة الفقير على صدقة الغني مثل: "تطلع المسيح فرأى الأغنياء يلقون قرابينهم في الخزانة، ورأى أيضاً أرملة مسكينة ألقت هناك فلسين، فقال: "بالحق أقول لكم: إنَّ هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من الجميع، لأن هؤلاء من فضلتهم ألقوا في قرابين الله، وأمّا هذه فمن أعوازها ألقت كل المعيشة التي لها"[4].

تلك هي دعوة المسيح عليه السلام والتي كان جلُّ هدفها مقاومة الجشع المادي اليهودي وردّهم إلى الأخلاق الحميدة مثل التسامح، البذل، العطاء، البر، الإحسان، نبذ الشهوات والبعد عن الرياء، وقد كان عليه السلام نفسه مثالاً للتقشف وترك الدنيا، وعدم الإفراط في المأكل والملبس والمسكن، فمن خلال النصوص السابقة تبين لنا أنَّ نظرة المسيحية لعلاج مشكلة الفقر قد اتخذت طابعاً أخلاقياً وشكلاً تربوياً ملائماً للبيئة التي عاش فيها السيد المسيح"[5].

فتلك بعض الصور والنصوص من موقف الديانات السابقة من مشكلة الفقر وسوف يتبين لنا

---

(1) إنجيل لوقا - الإصحاح "4" – الفقرات "12 – 14".

(2) إنجيل متى الإصحاح 25 – الفقرات 34 – 40 ".

(3) إنجيل متى الإصحاح 6 – الفقرتان 1، 2 ".

(4) إنجيل لوقا " الإصحاح 21 الفقرات 1-4 ".

(5) انظر " الاقتصاد الإسلامي " – دكتور إبراهيم الطحاوي – ح2 ص156 ".

الفرق الشاسع بين نظرة الديانات السماوية السابقة ونظرة القرآن الكريم لهذه المشكلة وذلك من خلال عقد هذه المقارنة.

المطلب الثالث:علاج مشكلة الفقر بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة:

1- حثت الديانتان: اليهودية والمسيحية على البرّ والإحسان والعطف على الفقراء والمساكين، كما رهبتا من الأنانية وحب الذات وذلك بإسداء النصائح للأغنياء ومحاولة تليين قلوبهم، لكنهما فقدتا عنصر الإلزام، بل وتركت الأمر موكولاً إلى أذواق الناس وضمائرهم.

أما التشريع القرآني فلم يكتف بمجرد إسداء النصائح وإعطاء الوصايا الأخلاقية للأغنياء لإثارة عواطفهم وتحريك مشاعرهم وتليين قلوبهم على غرار ما فعلته هاتان الديانتان، بل فرض (الزكاة) على الأغنياء وهي حق للفقراء يدفعها لهم الأغنياء، وبذلك حقق التشريع القرآني علاجاً مثمراً للفقر، وخطوة من الخطوات التي تعين على معالجته.

2- ونلاحظ أيضاً الفرق الشاسع بين أسلوب الديانتين اليهودية والمسيحية وأسلوب القرآن الكريم بالحث على الصدقات والإحسان حيث يلمس من خلال أسلوب الديانتين السابقتين التذلل والاستعطاف للأغنياء مما يشعر وكأنَّ واجب التكافل والتراحم أمرٌ هامشيٌ غيابه وحضوره سواء، في حين وجدنا أن أسلوب القرآن الكريم قد جمع بين الترغيب والترهيب مما يشعر أن أمر البر والإحسان أمر ملح وضرورة اجتماعية للحفاظ على التوازن الاجتماعي وعدم ظهور نظام الطبقات.

3- ولم تجعل نصوص التوراة والإنجيل أمر تحصيل أموال الزكاة والصدقات من الأغنياء ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين لسلطة الدولة بل جعلت الأمر موكولاً للأغنياء أنفسهم، مما جعل أصحاب القلوب القاسية والضمائر الميتة يتهربون من ذلك الحق ويتنكرون له.

ولكن التشريع القرآني قد حدد وسائل حماية لهذا الحق وهم جباة من قبل الدولة الإسلامية يجمعون الزكاة من الناس لصرفها في وجوهها المستحقة، وهم الذين سمّاهم الله سبحانه وتعالي بالعاملين عليها، بل وحماية لحقوق الفقراء قامت حروب الردّة ضد مانعي الزكاة للتأكيد على أنّ هذا الحق محمي من قبل الدولة الإسلامية ولا مجال للتنصل منه.

4- ونلاحظ أن الديانات السابقة لم تحدد نصاباً للمال الذي تجب فيه الزكاة ولم تبين شروطه ولا المقدار الواجب فيه، في حين أنّ التشريع الإسلامي قد حدَّد تلك الأمور وكل ذلك ضمن الخطوات العملية التي سلكها لمحاصرة هذه المشكلة فالقضاء عليها.

5- وقد حثت نصوص التوراة والإنجيل على العمل والجد والكسب بأسلوب لين يشعر وكأنّ الأمر يعود لمزاج الشخص نفسه دون أن يقترن ذلك بوعد أو وعيد، لكنَّ نصوص القرآن الكريم

اعتبرت أنَّ العمل أمر ضروري لكل مسلم وأنه مراقب من قبل الله ورسوله والمؤمنين في الدنيا، وسيكون العقاب على أي تقصير فيه في الآخرة، فالعمل في القرآن الكريم من ضروريات الحياة، فيه يكون الازدهار والرخاء والاكتفاء وبدونه يكون الفقر والجوع، فليس غريباً إذاً أن يكون العمل مراقباً ومحاسباً عليه في الدنيا والآخرة ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[1].

6- ويفهم من خلال نصوص التوراة والإنجيل أنها لم تكن تعالج مشكلة الفقر على أنها مشكلة يجب القضاء عليها ومحو آثارها ثم تحويل الفقراء إلى طبقة مستورة بل كان المقصود مجرد التخفيف من بؤسهم وحرمانهم.

لكن التشريع القرآني نظر إلى الفقر على أنه مشكلة يجب علاجها ببترها والقضاء عليها؛ باعتبارها ليست مشكلة منفصلة عن غيرها من أمور الحياة، بل هي من صميم الحياة الاجتماعية وواقعها، وهي إحدى المشاكل التي عانت وتعاني منها الإنسانية، فكانت معالجة القرآن لها جزءاً من معالجته الشاملة لبقية مشاكل الحياة الإنسانية.

7- والفقراء في الديانات السابقة لم تكن لهم حقوق محفوظة لا من قبل الدولة ولا من قبل أغنيائها، بل كانوا يعيشون تحت رحمة الأغنياء وامتنانهم، وكان مستقبل شبعهم وجوعهم منوطاً بضمائر فئة قليلة قد تحكمت بأقوات الناس وأرزاقهم، لكنَّ القرآن الكريم حفظ للفقراء حقوقهم عن طريق فرض الزكاة بأن جعلها عموداً من أعمدة الدين وأصلاً عظيماً من أصوله، وقد حفظ حقوق الفقراء أيضاً حين فتح لهم أبواباً واسعة للرزق وجعل لهم نصيباً فيها كلحوم الأضاحي والهدي والفدية والنذور والكفارات بأنواعها بالإضافة إلى ما قد شرعه لهم من نصيب في الغنائم والفيء والمواريث إذا حضروا القسمة.

كما حث على التراحم والتعاطف والتكافل والتعاون والإحسان وحببّ الناس في النفقة وكفالة اليتيم والبر بالأرامل والمعوزين وكل ذلك بأسلوب يرقق القلوب ويبعث الطمأنينة في النفوس فما أعظمه من تشريع حكيم معجز.

وبهذا ندرك عظمة هذا التشريع القرآني في علاج هذه المشكلة ، حيث نلاحظ اهتمام القرآن الكريم بها اهتماماً بالغاً مع بداية الدعوة الإسلامية وكل ذلك بهدف القضاء عليها.

فمن خلال هذه المقارنة يتبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك سُمُوَّ التشريعات القرآنية وتفوقها وتميزها على الديانات السماوية السابقة.

---

(1) سورة التوبة: الآية "105".

المطلب الرابع : **علاج مشكلة الفقر بين الإعجاز القرآني والعجز البشري.**

جاء القرآن الكريم إلى الحياة بمنهج كامل، يهتم بالجانب المادي في حياة البشر بقدر ما يعنى بالجانب الروحي، ذلك لأن كلا الجانبين يتأثر بالآخر ويؤثر فيه.

فإذا كان حقاً ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان فهو أيضاً بدون الخبز لا يستطيع أن يحيا لذلك وضع القرآن الكريم مشكلة الفقر في مقدمة المشكلات الاجتماعية التي عالجها واهتم بها واعتبر مجرد ترك أحدِ أفراد المجتمع جائعاً هو تكذيب بالدين نفسه حيث قال سبحانه: ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ. وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ [1].

من هنا حرص التشريع القرآني على وضع الحلول المناسبة لمشكلة الفقر وعلاجها فالإسلام يريد للناس أن يحيوا حياة طيبة ينعمون فيها بالعيش الرغدْ، ويغتنمون بركات السماوات والأرض، ويأكلون من فوقهم ومن تحت أرجلهم، فيشعرون بنعمة الله تملأ حياتهم وبذلك يقبلون على عبادة الله بخشوع وإحسان ولا يشغلهم الهمُّ في طلب الرغيف عن طلب مرضاة لله،و لا يثنيهم الانشغال بمعركة الخبز عن معرفة الله وحسن الصلة به.

وبهذا يستطيع الفقير أن يكون عضواً فاعلاً في الحياة يقوم بواجبه في طاعة الله، وبهذا يشعر أنه عضو حي في جسم المجتمع وأنه ليس شيئاً ضائعاً وكمَّاً مهملاً[2].

ولم يعترف التشريع القرآني بالمسكنات في التعامل مع مشكلة الفقر، ولم يعترف أيضاً بأنصاف الحلول بل جعل لهذه المشكلة حلاً جذرياً شافياً وعلاجاً متكاملاً للقضاء عليها وتخليص المجتمع من شرورها وأخطارها وهذا الحلُّ والعلاج القرآني يتمثل **في ركيزتين**:

الأولى: توجيه الأنظار إلى أسباب الوقاية من الفقر ووسائلها حيث نبَّه المؤمنين إلى أسباب الرزق وأبواب الغنى التي تنفع المرء قبل الوقوع في الفقر حيث تعتبر وسائل للوقاية منه، **ومن هذه الوسائل**:

1. الإيمان بأن الله هو الخالق الرازق.
2. تقوى الله عز وجل.
3. شكر الله على نعمائه.
4. استغفار الله تعالى.

(1) سورة الماعون: الآيات "1-3".

(2) انظر "المذهب الاقتصادي في الإسلام" - الدكتور محمد شوقي الفنجري - ص 98 ، و"الاقتصاد الإسلامي" - بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي - ص 237.

5. إعمار بيوت الله.
6. حسن التوكل على الله.
7. الإنفاق في سبيل الله.
8. عدم الإسراف والتبذير.

الثانية: وضع القرآن الكريم حلولاً مثمرة ووسائل علاجية متكاملة بحيث إذا طبقت تلك الوسائل بحذافيرها خلقت مجتمعاً خالياً من الفقر وشروره، وتلك الحلول منها ما يقع تطبيقه على الفقير نفسه فهو مطالب بالمشاركة في معالجة فقرة عن طريق العمل والكسب مع الالتزام بكل وسائل الوقاية من الفقر لأنها مفاتيح للرزق وأبواب للكسب نبه إليها رب العزة والجلال في كتابه وحث المؤمنين على التزامها واتباعها، كما أنَّ الزواج والإنجاب والوصايا والمواريث من الوسائل العلاجية التي تعين الفقراء على حل مشاكلهم.

ومن الوسائل العلاجية ما تقع مسئوليتها على المجتمع المسلم فهو مطالب بالمشاركة في القضاء على هذه المشكلة عن طريق التكافل الاجتماعي وإيصال حقوق الفقراء إلى أصحابها من غير مَنٍّ ولا أذى، حيث فرض الله سبحانه وتعالى على المجتمع حقوقاً مالية للفقراء منها ما هو واجب كالزكاة والكفارات والفدية والنذور وزكاة الفطر والأضاحي على الغني دون الفقير، على القادر في غير مؤنه ومشقة دون غيره، وكذلك الهدي على حجاج بيت الله الحرام.

كما فرض التشريع القرآني لحل هذه المشكلة أيضاً حقوقاً تطوعية في الأموال تؤدى للفقراء كالصدقات والهبات وكفالة الأغنياء للأقارب الفقراء وكفالة الأيتام.

وتقع مسئولية التوزيع العادل على الدولة وولي الأمر بحيث يأخذ كل فقير حسب حاجته، وبحيث لا يكرم فقير على حساب بقية الفقراء، ولا يظلم فقير وينسى دون سائر الفقراء.

وتجدر الإشارة هنا أن الإسلام حين عالج الفقر حرص أيضاً على معالجة سببه بهدف القضاء عليه وإلقائه من المجتمع الإسلامي من غير رجعة.

فالفقير العاجز عن كسب ما يقيه وما يسدُّ رمقه إما لضعف جسماني كأن يكون شيخاً مسناً ليس قادراً على الكسب فله حق في الزكاة والصدقات والأضاحي وكفالة الأقارب له وما إلى ذلك، وإما أن يكون الضعف بسبب موت المعيل وصغر سن الفقير فله كفالة اليتيم التي تعوضه الحنان والعطف وتوفر له لقمة عيش كريمة في ظل أسرة مؤمنه رحيمة.

وقد يكون العجز عن الكسب نتيجة لانسداد أبواب العمل الحلال في وجه القادرين عليه رغم طلبهم له وسعيهم الحثيث إلية فأولئك في حكم العاجزين لهم حقوق على الدولة وعلى أبناء المجتمع بتوفير لقمة عيش كريمة أو عمل مشروع لهم.

وقد يكون الفقر نتيجة لتكاسل الفقير وتقاعسه عن العمل مع القدرة عليه فواجب ولي الأمر مع أولئك أن يحثهم على العمل ويأمرهم به؛ كي لا يكون أولئك نقطة سوداء في جبين المجتمع وعالة على أبنائه.

ومن الفقراء نوع مستور الحال ليس عاطلاً عن العمل ولا عاجزاً عنه ولكنه يعمل ويكسب كسباً يدرُّ عليه رزقاً لا يكفيه ولا يسدُّ حاجته ولا يحقق له تمام كفايته، فذلك هو (المسكين) الجدير بالمعونة؛ لأن ذلك الصنف من الفقراء يغفل الناس عنه وهم كُثر في مجتمعنا وهم الذين تمنعهم عزة النفس عن طلب المعونة أو التظاهر بالحاجة فالواجب تجاه ذلك الصنف من الفقراء التنبه لهم ومساعدتهم وستر حالهم من قبل الدولة وأبناء مجتمعهم حفاظاً على كرامتهم وسداً لاحتياجاتهم[1].

وهذه الحلول القرآنية لمشكلة الفقر لم تتنزل لمرحلة معينة من الزمن بحيث لا تصلح إلا لها، ولم تشرع لمجموعة خاصة من البشر بحيث لا يصح تطبيقها ولا تؤتي ثمارها إلا لهم بحيث تصلح لإصلاح حالهم وعلاج مشكلتهم وتتوقف صلاحيتها بموتهم ورحيلهم.

فالقرآن الكريم باق بقاء الدنيا وصالح لكل زمان ومكان، ولكل مجتمع وأمَّة وخالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وحلوله لقضايا البشر ومن ضمنها مشكلة الفقر صالحة لكل زمان ومكان ولكل مجتمع وأمَّة فهذه الحلول القرآنية لا ترتبط بمرحلة تاريخية معينة ولا مجتمع معين.

كما لا ترتبط بجيل معين من البشر، فحين طبقت هذه الحلول في المجتمع الأول سجلت نجاحاً شهد له العدو قبل الصديق، ومشكلة الفقر في البلاد الإسلامية اليوم ليست إلا نتيجة لعدم تطبيق شرع الله والبعد عن النظام الاقتصادي القرآني الذي وضعه علاَّم الغيوب لإصلاح خلقه وإدارة شئونهم الاقتصادية، ومعالجة مشاكلهم، بحيث لو طبق المسلمون اليوم تلك الحلول القرآنية لنجحوا في القضاء على مشاكلهم الاقتصادية وخاصة مشكلة الفقر، فهذه الحلول الإلهية صالحة لكل زمان ومكان فقد نجح تطبيقها في المجتمع الأول وآتت ثمارها وسوف تحقق أهدافها ونتائجها الطيبة الإيجابية لو طبقت في هذا الزمان عصر الفضاء والذرة بشرط حسن التطبيق، ودقته مع إخلاص النية فيها لله ربِّ العالمين، فما صلح به أول هذه الأمة سيصلح به آخرها.

وبالإضافة إلى الحلول القرآنية الشاملة لمشكلة الفقر التي شرعها الله سبحانه وتعالى لعباده، فإنَّ التشريع القرآني أحاط هذه الحلول القرآنية بسياج منيع وحصن حصين من الضوابط الاقتصادية

---

(1) الاقتصاد الإسلامي "بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي" - ص 239 - 241 "بتصرف".

بهدف حفظ التوازن الاقتصادي وعدم الوقوع في الفقر مرة أخرى بعد القضاء عليه، وتلك الأساليب والضوابط الاقتصادية يجب تطبيقها حماية للاقتصاد الإسلامي منعاً للتفاوت الطبقي وحفظاً للتوازن سواء أكان بين الأفراد على مستوى المجتمع، أم بين الأقطار على مستوى الأمة، أو بين الدول على مستوى العالم، في حال انتشار الإسلام في ربوعه وتلك الضوابط هي :

1- عدم السماح بالثروة والغنى إلا بعد ضمان حد الكفاية لكل فرد من أفراد الأمة فضلاً عن عدم السماح كلية بكنز المال وحبسه عن التداول أو إنفاقه في سرف أو ترف.

2- عدم السماح باستئثار أقلية بخيرات المجتمع، ذلك لأن المجتمع الإسلامي يقوم على العدل والمحبة والتعاون، فالتفاوت الفاحش في توزيع الثروة واستئثار أقلية بخيرات المجتمع يتنافى والعدل بل يؤدي إلى الجور وتحكم الأقلية واستبدادها، كما يولد الكراهية والحسد في نفوس الأكثرية الكادحة ويخلق الطبقية والصراع في المجتمع مما يؤدي إلى عدم الانسجام بين أفراد المجتمع لذلك جاء النص القرآني صريحاً بقولة تعالى: ﴿ ...**كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ**... ﴾ (1) بمعنى أنه لا يُقبل في الإسلام أن يكون المال متداولاً بين فئة قليلة من الناس وهم الأغنياء دون الفقراء، لأن ذلك يجعل المال في أيدي معينة مما يؤدي إلى الاختلال في التوازن الاجتماعي.

3- إعادة التوزيع عند افتقاد التوازن: فانطلاقاً من حفظ التوازن الاقتصادي يتعين على الحاكم أو ولي الأمر أو أهل الحل والعقد التدخل من وقت لآخر لإعادة ذلك التوازن عند افتقاده.

وهو ما فعله النبي ﷺ عند هجرته إلى المدينة المنورة إذ ظهر اختلال في المراكز الاقتصادية بين المهاجرين والأنصار بعد أن ترك المهاجرون أموالهم بمكة بينما كان الأنصار مستقرين في المدينة وأساس ثروتهم هو الزراعة ولبعضهم أراض واسعة حيث طلب النبي ﷺ من الأنصار منح المهاجرين ما فضل وزاد من أراضيهم لزراعتها والعيش من نتاجها وذلك من غير أجرة كإجراء مؤقت، حتى إذا استقرت الأمور بالمهاجرين وتحسنت أحوالهم المادية أجاز الرسول ﷺ تأجير الأراضي الزراعية.

وكذلك ما فعله النبي ﷺ حين قصر توزيع الفيء من بنى النظير على المهاجرين واثنين من الأنصار كانوا فقراء تتوافر فيهم نفس الحكمة التي جعلت تخصيص الفيء للمهاجرين وهو إعادة التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع"(2).

---

(1) سورة الحشر: الآية "7".

(2) انظر "المبادئ الاقتصادية في الإسلام" - للدكتور علي عبدالرسول - ص 105، 106.

وكذلك ما حدث في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عند فتح بلاد الشام والعراق حيث أراد المحاربون قسمة الأراضي المفتوحة عليهم بدعوى أنها تأخذ حكم الغنائم فرفض عمر ﷺ ذلك لأن ذلك سيؤدي إلى استئثار أقلية من الناس بثروات خيالية وبالتالي إلى اختلال التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع[1].

وبهذا تبين لنا أن التشريع القرآني قد عالج مشكلة الفقر بسلسلة من الخطوات الاقتصادية ومجموعة من الوسائل العلاجية المثمرة التي آتت ثمارها كما أحاط التشريع الحكيم تلك الوسائل العلاجية بسلسلة أخرى من الضوابط الاقتصادية التي تمنع ظهور التفاوت الطبقي بين أفراد المجتمع وبالتالي تحفظ التوازن الاجتماعي.

وهذا الحل الشامل لهذه المشكلة صالح لكل زمان ومكان ولكل أمة وعصر لأنه من لدن حكيم خبير.

أمَّا بالنسبة للنظم الوضعية كالنظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي الشيوعي فإنها قامت على مبادئ خلقت مشكلة الفقر وأوجدتها، بل إنها زادت المشكلة تعقيداً وزادت أتباعها عوزاً وقلة وفقراً بسبب الفلسفة الخاطئة التي يقوم عليها كل نظام من الأنظمة الوضعية الاقتصادية الفاشلة.

فالنظام الرأسمالي قد جعل مصلحة الفرد هدفاً حيث قدمها على مصلحة المجتمع فيمنحه الحرية في ممارسة النشاط الاقتصادي وفي التملك، وقد برر ذلك بأنه حين يرعى مصلحة الفرد وحدها إنما يحقق بطريقة غير مباشرة مصلحة الجماعة إذ ليس المجتمع إلا مجموعة أفراد مجتمعين، وقد أدت تلك السياسة الاقتصادية إلى حرص الفرد في المجتمع الرأسمالي على تحقيق أكبر قدر من الربح بغض النظر عن الحاجات العامة وانتشار البطالة والفقر فضلاً عن أن أبناء المجتمع ليسوا على درجة واحدة من الكفاية مما أدى إلى سيطرة الأقوياء واستئثار الأقلية بخيرات المجتمع وبالتالي سوء توزيع الثروة والدخل وتفاقم ظاهرة التفاوت والصراع الطبقي بين أفراد المجتمع[2].

أما الاقتصاد الاشتراكي فقد اهتم بمصلحة المجتمع حيث قدمها على مصلحة الفرد ومن ثمَّ تدخلت الدولة في كل نشاط اقتصادي ومنعت الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج مبررين ذلك بأنه حين ترعى مصلحة المجتمع إنما يتحقق بذلك مصلحة الفرد إذ الفرد لا يعيش إلا في مجتمع وأنَّ قيمته

(1) انظر "سيرة عمر بن الخطاب" - لابن الجوزي ص 154.

(2) انظر "الاقتصاد الإسلامي" - بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي - ص119.

بحسب قيمة مجتمعه وتطوره بحسب درجة نمو ذلك المجتمع وتطوره وقد أدت هذه الوسيلة الاقتصادية إلى ضعف الحوافز الشخصية وقلة المهارات الفردية وضعف الرقي الاقتصادي كما أدت إلى حرمان الفرد من نزعته الفطرية وهي حب التملك[1].

ومن هنا تبين لنا أن المجتمع الرأسمالي ببنائه الاقتصادي القائم على إطلاق العنان للفرد لا يساهم في علاج مشكلة الفقر بل يعمل على خلقها في المجتمع الرأسمالي وزيادة تفاقمها وذلك حين تتركز الأموال في أيدٍ معينة قليلة؛ مما يخلق في المجتمع طبقة الرأسمالية الغنية وفي مقابل ذلك تظهر الغالبية من الشعب وهم الطبقة العاملة الفقيرة التي يكدح أبناؤها تحت وطأة الظلم والاستغلال من ساعات الفجر الأولى حتى الساعات المتأخرة من الليل مقابل أجور زهيدة.

وكذلك فإن المجتمع الاشتراكي لا يساهم في علاج مشكلة الفقر أيضاً وذلك لتكدس الثروات في ظل ذلك النظام لدى الحكومة في حين أن الفرد لا يملك ولا يحق له أن يملك شيئاً من وسائل الإنتاج ولا من الثروة، وإذا كان النظام الاشتراكي قد وفر فرص عمل لأبنائه فقضى على ظاهرة البطالة إلا أن الفرد في ظل ذلك النظام يفقد الفطرة الإنسانية وهي حق التملك حيث جُعلت الملكية في يد أعضاء الحكومة وبذلك يحرم الفرد من تملك الثروة ووسائل الإنتاج بمعنى أن ذلك النظام يقف حائلاً وحجر عثرة بين الإنسان والغنى فينزع منه فطرة قد فطره الله عليها[2].

وأمَّا الشيوعية التي هي وليدة الاشتراكية والتي قامت مناهضة للنظام الرأسمالي ومدعية أنها البديل وأنها مفتاح الفرج لمشاكل العالم الاقتصادية وخاصة مشكلة الفقر فهي تعتبر أسوأ بديل عرفته البشرية إلى اليوم كما قال الأستاذ محمد قطب:

حقيقة إن الشيوعية هي النظام الجاهلي الوحيد حتى اليوم الذي فرض على الدولة كفالة كل فرد يعيش في ظلها ولكنّ ذلك لم يكن كرماً إنسانياً منها فهي تأخذ مقابل ذلك جهد الفرد كله.

ففي ظل هذا النظام الملحد من لا يعمل لا يأكل، ثم إن الدولة تستذل الناس بلقمة الخبز على نحو غير مسبوق في كل النظم التي مرت بها الجاهلية البشرية.

فمقابل لقمة العيش وكسرة الخبز يجب أن يبيع الفرد في ظل ذلك النظام البوليسي الصارم بعض كرامته أو كلها وبعض إنسانيته حيث يمنع الناس بالرعب والإرهاب أن يفتحوا أفواههم بكلمة نقد واحدة ضد الدولة أو الزعيم أو النظام مقابل نقمة الخبز التي يحصلون عليها.

وبهذا يتضح لنا أن الشيوعية أيضاً لم تساهم في علاج مشكلة الفقر بل إنها كانت عاملاً مساعداً

---

(1) انظر "المرجع السابق" - ص 120.

(2) منهج الاقتصاد في الإسلام - زيدان عبدالفتاح قعدان - ص 12، 13 "بتصرف".

على زيادة عدد الفقراء الذين يعيشون على الكفاف وهم يغمسون لقمتهم بجهدهم وعرقهم ودمائهم وكرامتهم وبدون ذلك فلا لقمة عيش لهم[1].

كما أن العلمانية الحديثة التي تقوم عليها غالبية الدول الإسلامية التي تفصل الدين عن الدولة - لم تساهم في علاج مشكلة الفقر خاصة والمشاكل الاقتصادية بشكل عام وذلك لبعد العلمانية عن تعالم الله واتباعها قوانين ومذاهب مستوردة ما أنزل الله بها من سلطان والدليل على الفشل العلماني في المجال الاقتصادي هو تفشي ظاهرة البطالة والفقر في العديد من مناطق العالم الإسلامي بسبب عدم تطبيق شرع الله سبحانه عامة وعدم تطبيق الحلول القرآنية والمنهج الاقتصادي القرآني خاصة. فأنَّى لنظام ينجح في حل مشكلة الفقر ومشاكله الاقتصادية الأخرى وهو يضع تعاليم الله وشرعه جانباً فاصلاً الدين عن السياسة والدولة والحياة، وأنَّي يُكتب النجاح لنظام يفصل الاقتصاد عن الدين قائلاً:" إن الاقتصاد لا علاقة له بالدين"[2].

وبهذا تبين لنا فشل كل الأنظمة الوضعية الحديثة في علاج مشكلة الفقر، وأنه لا حل لهذه المشكلة إلا بالإسلام فالله سبحانه وتعالى قد أنزل هذا الكتاب العزيز للناس كافة وما على الأنظمة الوضعية إلا أن تُطلَّق مذاهبها الفاشلة طلاقاً بائناً بينونة كبرى لا رجعة فيه وأن يعتنق أبناؤها الإسلام لينعموا بمبادئه ولتحيا أرواحهم بتشريعاته ولتصلح أحوالهم بحلوله فالتشريعات الاقتصادية الإلهية لا تركز على الفرد على حساب مصلحة الجماعة شأن النظام الرأسمالي ولا على مصلحة المجتمع مع حرمان الفرد من حقوقه وانتزاع فطرته شأن النظام الاشتراكي ولا تحتضن الفرد بتوفير الخبز له مقابل إذلاله كالنظام الشيوعي.

لكن التشريعات القرآنية المعجزة ترعى المصلحتين الخاصة والعامة وتلائم بينهما ذلك لأن كلتا المصلحتين تكمل كل منهما الأخرى دون إهدار لإحداهما.

"وإذا كانت النظم الاقتصادية الوضعية اقتصر نشاطها الاقتصادي على تحقيق المصالح المادية فحسب فإنَّ النشاط الاقتصادي القرآني وإن كان مادياً بطبيعته إلا أنه جمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية فالإحساس بمراقبة الله تعالى ومراقبته في كل نشاط اقتصادي هو سمة من سمات التشريعات الاقتصادية القرآنية"[3].

---

(1) انظر "مذاهب فكرية معاصرة" - محمد قطب - ص 475.

(2) انظر "مذاهب فكرية معاصرة" - محمد قطب – ص 499 .

(3) انظر "الاقتصاد الإسلامي" - بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي - ص123.

كما أن النظم الوضعية لم تضع نظاماً اقتصادياً شاملاً وحلولاً خاصة لعلاج مشكلة الفقــر بينمــا وجدنا التشريع القرآني قد عالج هذه المشكلة عن طريق سلسلة من التشريعات المعجزة الحكيمــة التي اقتلعت الفقر من جذوره وبسياج منيع من وسائل الوقاية منه بحيث لم تدع للفقر ثغرة يتــسلل منها إلى المجتمع المسلم.

بالإضافة إلى أن النظم الوضعية لم تضع خططاً للحفــاظ علــى التــوازن الاجتمــاعي وتطبيق العدالة الاجتماعية بل إن طبيعة أنظمتها الاقتصادية دعت إلى نقيض ذلك مما يدل علــى عدم اهتمام تلك الأنظمة بعلاج هذه المشكلة أو التفكير في وضع حلول لها، بينما وجدنا التــشريع القرآني يضع بالإضافة إلى الحلول القرآنية لهذه المشكلة مجموعة من الضوابط الاقتصادية التــي تحافظ على التوازن الاجتماعي وتوزع الثروة في نطاق العدالة الاجتماعيــة وتنظــيم عمليــــة الغنــى والكســب ضمن ضوابط معينة منعاً لظهور النظام الطبقي في المجتمع المسلم.

وبذلك تبين لنا أحقية التشريعات القرآنية في السيادة والريادة وأن حل مشكلة الفقر فــي العــصر الحديث لا يتم إلا بتطبيق شرع الله الصالح لكل زمان ومكان.

ولهذا ندرك أنّ تطبيق الإسلام كله هو الحل للمشكلات كلها مهمــا تعــددت أســماؤها وتنوعت أشكالها ومنها مشكلة الفقر، وذلك لأنَّ دين الله كلٌ لا يتجزأ، وليس من السهل أن نعــالج مشكلة مستقلة دون باقي المشاكل لأنّ ذلك يقتضي أخذا جزئياً ، وهو مرفوض قطعاً وهذا يعنــي أنّ غير المسلمين لو حاولوا أن يأخذوا من الإسلام العلاج لمشكلة الفقر فلن يستطيعوا ذلك أبداً إلا من خلال تطبيق الإسلام كله عقيدة وعبادة ومنهج حياة.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وقد أكرمنا الله وشرفنا بالبحث في كتابه؛ للوقوف على حكمه وأسراره ، ومن خلال هذه الدراسة فقد تم الوقوف على أهم النتائج المتمثلة **فيما يلي**:

أولاً: ظهر لنا معنى الفقر في اللغة والاصطلاح ، كما ظهرت كذلك أقوال العلماء في الحدود التي تنطبق عليها صفة الفقر.

ثانياً: تم الوقوف على مجموع الآيات المكية والمدنية التي تناولت مشكلة الفقر سواء أكان ذلــك بإبرازها أم بعلاجها ، وظهر من خلال ذلك أن ظاهرة الفقر في المدينة كانت أشد منها في مكة ، لأن المهاجرين قد تركوا أموالهم وأرضهم في سبيل اللحاق بأرض الإسلام.

ثالثاً: كما ظهرت لنا ألفاظ مرادفة لمعنى الفقر ، وذلك من خلال الآيات القرآنية ، مثــل ألفــاظ: الإملاق ، والبائس ، والقانع ، والمعتر ، والمسكين.

رابعاً: ظهر أن السعي والأخذ بأسباب الرزق هو أمر تعبدي ، لا يجوز لأحد أن يتغافل عنه، سواء أكان ذلك بالعمل ، أم بالزواج الذي هو سبب من أسباب الرزق .

خامساً: ظهر أن التكافل الاجتماعي مطلوب شرعاً لتحقيق مبدأ التعاون على البر والتقوى ، وتحقيق مبدأ الأخوة بين المؤمنين كما أراده الله .

سادساً: ظهر أن في القرآن حقوقاً مفروضة في الأموال تسهم في علاج مشكلة الفقر ، وهي الزكاة ، والكفارات بأنواعها ، والفدية ، والنذور ، وزكاة الفطر ، والأضاحي ، والهدي .

سابعاً: ثبت أن في القرآن حقوقاً تطوعية مشروعة في الأموال ، أسهمت في علاج مشكلة الفقر وهي الصدقات ، والهبات ، وكفالة الأغنياء للأقارب الفقراء ، وكفالة اليتامى .

ثامناً: تم استعراض علاج مشكلة الفقر من خلال نصوص التوراة ، فبَّين أنها عبارة عن مجموعة من النصائح والمواعظ غير الملزمة ، دون أن تضع خطة اقتصادية حكيمة لعلاج هذه المشكلة.

تاسعاً: تم استعراض علاج مشكلة الفقر من خلال نصوص الإنجيل ، وتبين أنها مثل سابقتها مجرد نصائح ومواعظ فقط.

عاشراً: تم الوقوف على الفرق بين علاج القرآن لمشكلة الفقر وعلاج الكتب السماوية السابقة وقد ظهر الفرق الشاسع في تميز القرآن وسُمُوَّ تشريعاته وتفوقها وعظمتها مقارنة بغيرها في علاج هذه المشكلة الواقعية.

أحد عشر: تم استعراض الفرق بين علاج مشكلة الفقر مقارنة بالأنظمة الوضعية البشرية كالنظام الرأسمالي، والنظام الاشتراكي الشيوعي ، وكذلك نظام العلمانية الحديثة ، وتبين من خلال ذلك فشل كل الأنظمة الوضعية وعجزها عن حل هذه المشكلة ، وأنه لا حل لها إلا بالتشريع القرآني المعجز.

اثنا عشر: ظهر لنا أن الإسلام كلٌ لا يتجزأ ، وأن القرآن مشتمل على علاج المشكلات كلها مهما تعددت أسماؤها ، وتنوعت أشكالها ، واختلفت أزمانها وأماكنها.

فهرس المصادر والمراجع

1. الأساس في التفسير – سعيد حوبي – دار السلام – ط2 – 1409هـ- 1989م.
2. إشتراكية الإسلام – الدكتور مصطفى السباعي – الناشرون العرب .
3. الاقتصاد الإسلامي "بحوث مختارة من المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي" المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي – ط1 – 1400هـ - 1980م.
4. الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً "دراسة مقارنة" – للدكتور إبراهيم الطحاوي – مجمع البحوث الإسلامية – 1394 هـ- 1974م.
5. أنوار التنزيل وأسرار التأويل – لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي – دار الكتب – بيروت – 1420هـ-1999م .
6. بداية المجتهد ونهاية المقتصد – للقاضي محمد بن أحمد بن محمد بن رشد – دار المعرفة – بيروت – ط4 – 1398هـ- 1978م.
7. تفسير القرآن الحكيم "الشهير بالمنار" – للأستاذ محمد رشيد رضا – دار المعرفة – بيروت– الطبعة الثانية.
8. تفسير القرآن العظيم – للإمام الجليل عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي – دار إحياء الكتب العربية.
9. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – للإمام محمد الرازي فخر الدين – دار الفكر – بيروت – 1414هـ- 1994م.
10. الثروة في ظل الإسلام – للبهي الخولي – الطبعة الثانية – 1391هـ-1971م .
11. الجامع لأحكام القرآن – لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الحديث – القاهرة – ط2 – 1414هـ - 1995م.
12. رعاية اليتامى والضعفاء في الإسلام "رسالة دكتوراه" – محمد شوقي محمد نصار – 1399هـ-1979م .
13. سنن ابن ماجه – للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني – صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية.
14. سنن أبي داوود – للإمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث السجتاني الأزدي – دار الفكر.

15. سنن الترمذي – لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورت – تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر– دار إحياء التراث العربي – بيروت.
16. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي – اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه عبد الفتاح أبو غدة .
17. سيرة عمر بن الخطاب – لابن الجوزي – المكتبة التجارية الكبرى .
18. صحيح البخاري – لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري – دار الحديث – القاهرة.
19. صحيح مسلم – للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – دار الفكر .
20. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – محمد بن علي بن محمد الشوكاني – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – ط2 – 1383هـ - 1964م.
21. فقه السنة – للسيد سابق – دار الكتاب العربي – بيروت – ط1 – 1391هـ-1971م .
22. الفقه على المذاهب الأربعة – للشيخ عبد الرحمن الجزيري.
23. لقاموس المحيط – للفيروز آبادي – دار الفكر - بيروت – 1398هـ - 1998م.
24. كتب من العهد الجديد : إنجيل متى – إنجيل لوقاه.
25. كتب من العهد القديم : سفر الأمثال – سفر التثنية – سفر زكريا – وسفر أشعياء – وسفر سموئيل الأول.
26. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – تأليف الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري – دار الكتب العلمية بيروت – ط1- 1415هـ - 1995م.
27. لباب التأويل في معاني التنزيل – علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1415هـ-1995م .
28. لسان العرب - لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور – طبعة جديدة محققه – دار المعارف.
29. لماذا أنا مسلم – عبد المتعال الصعيدي – بدون طبعة .
30. المبادئ الاقتصادية في الإسلام – للدكتور علي عبد الرسول.
31. المجتمع المتكافل في الإسلام – الدكتور عبد العزيز الخياط – دار السلام للطباعة – ط3 – 1406هـ-1986م .

32. مجمع البيان في تفسير القرآن – للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي – منشورات دار مكتبة الحياة.

33. مذاهب فكرية معاصرة – محمد قطب – دار الشروق – ط1 – 1403هـ - 1983م.

34. المدخل إلى التفسير الموضوعي – د. عبد الستار فتح الله سعيد – دار التوزيع والنشر الإسلامية – ط2 – 1411هـ-1991م .

35. المذهب الاقتصادي في الإسلام – للدكتور محمد شوقي الفنجري – شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع – جدة – ط1 – 1401 هـ - 1981م.

36. المستدرك على الصحيحين – للإمام الحافظ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري – دراسة وتحقيق عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1411هـ-1990م .

37. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – للرافعي – للعالم العلامة أحمد بن محمد ابن علي المقري الفيومي – دار الفكر.

38. الميراث والوصية والهبة في الشريعة الإسلامية والقانون – بدران أبو العينين بدران 1389هـ-1969م .

39. النهاية في غريب الحديث والأثر – للإمام المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير – تحقيق محمود محمد الطناجي ، وطاهر أحمد الزاوي – دار إحياء الكتب العربية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين